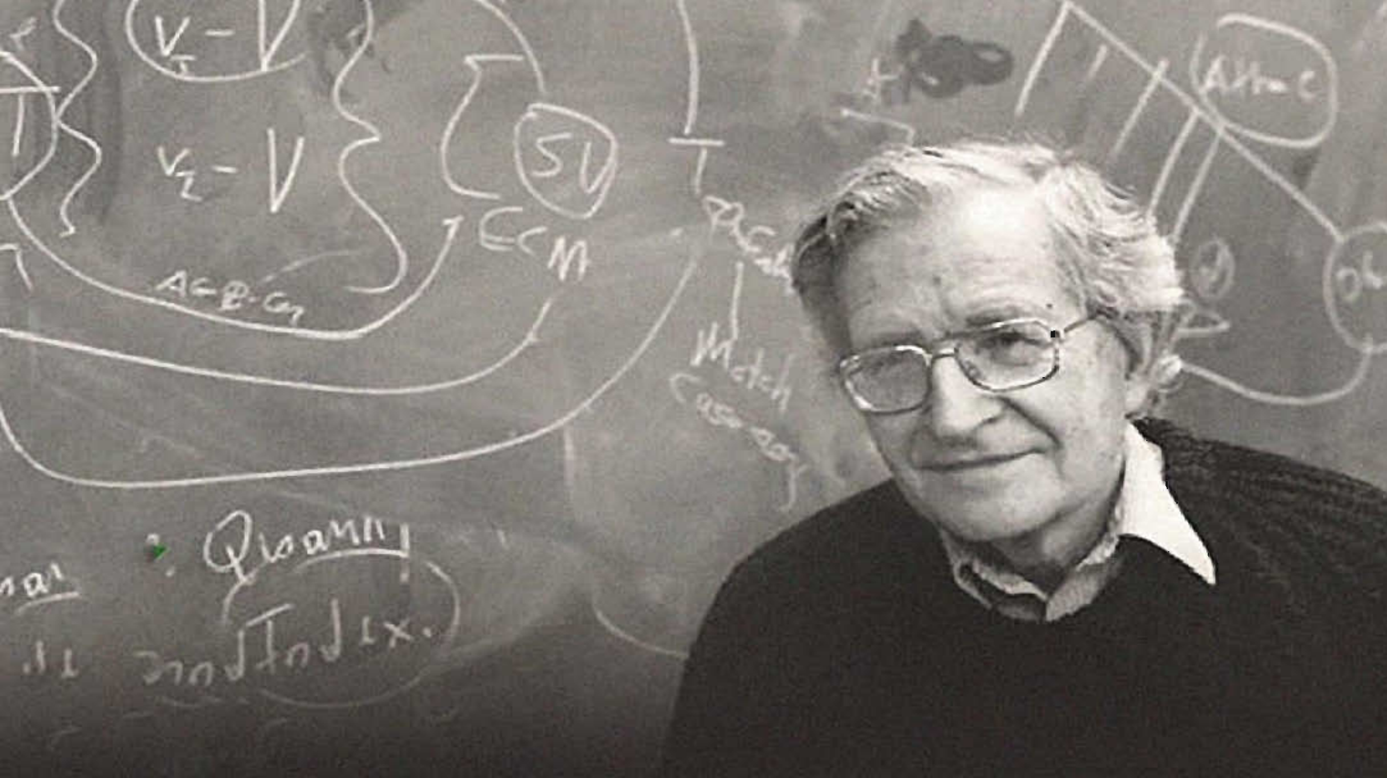


نعوم تشومسكي

بُنيان اللغة

ترجمة: إبراهيم الكلثم

Jadawel جداول

الناشر

بُنيان اللغــة

Noam Chomsky

The Architecture of Language

First Edition was Originally Published in English in 2000
by Arrangement with Oxford University Press

نعوم تشومسكي

بُنيان اللغة

ترجمة

إبراهيم الكلثم

التنوير

Jadawel جداول

الكتاب: **بُنيان اللغة**

المؤلف: **نعوم تشومسكي**

ترجمة: **إبراهيم الكلثم**

جداول

للنشر والترجمة والتوزيع

رأس بيروت - شارع كراكاس - بناية البركة - الطابق الأول

هاتف: 00961 1 746638 - فاكس: 00961 1 746637

ص.ب: 5558 - 13 شوران - بيروت - لبنان

e-mail: d.jadawel@gmail.com

www.jadawel.net

الطبعة الأولى

تشرين الأول / أكتوبر 2017

ISBN 978-614-418-357-1

طبع في لبنان

Copyright © Jadawel S.A.R.L.

Caracas Str. - Al-Barakah Bldg.

P.O.Box: 5558-13 Shouran

Beirut - Lebanon

First Published 2017 Beirut

طُبع على نفقة مؤسسة

ريم وعمر الثقافية

المحتويات

ملاحظات عن الترجمة

بما أن الكتاب عبارة عن تفريغ نصِّي لمحاضرة، بذلت قصارى جهدي لكي أُحافظ على الروح الشفهيَّة لها، وبسبب ذلك، أبقيت على ترتيب الجمل كما هو، وستتكرر كلمات وعبارات غير مألوفة في الكتابة العادية، كلمات وعبارات من قبيل: «الآن» في بداية الجمل، و«كما أظن» في نهايتها، وفي مواضع - معدودة - سيذكر تشومسكي فكرة، ثم يحاول قولها مرة ثانية بشكل أوضح مثل: «دعوني أرجع خطوة إلى الوراء [لأوضح فكرتي]»، كل هذه الأمور تركتها كما هي، إلا في الحالات التي قد تجعل العبارة غامضة ومُلتبسة.

قدَّمت بمقدمة لمن أراد التعرُّف على أهمية تشومسكي والنحو التوليدي في خارطة اللسانيات، بالإضافة إلى توضيح بعض المعالم الفلسفية والعلمية التي تأسس عليها اشتغال تشومسكي اللساني. وأوجزت فيها؛ لأن هذا الكتاب يُعتبر - بمعنى من المعاني - تعريف وتقديم لمساهمة تشومسكي في اللسانيات.

لا زالت الكتابة والترجمة اللسانية العربية - على الرغم من وجود إسهامات جليلة - شحيحة، الأمر الذي يقلِّل من فرص توحيد ترجمات ومعرفة مصطلحاتها بين المتخصصين، بلَه القرَّاء العامين. والترجمات - على قلِّتها - تختلف في ترجمة العديد من هذه المصطلحات، وبالتالي في محاولة مني لمساعدة القراء لمعرفة ترجمة المصطلحات المذكورة في الكتاب، أضفت ثبت المصطلحات التي اخترتها له.

ترجمة الأمثلة في كتب اللسانيات تكون إشكاليةً في بعض الأحيان؛ لأنها تتطلب تعديلات قد تطال المتن نفسه، وليس المثال فحسب[1] وعادة ما تتخذ ترجمة الأمثلة أحد الأساليب الثلاثة التالية:

ـ الاكتفاء بذكر المثال في إحدى اللغتين، المصدر أو الهدف.

ـ ذكر المثال في لغته المصدر مع ذكر مقابله في اللغة الهدف، مثل: «the book seems to have been stolen» (يبدو بأن الكتاب قد سُرق).

ـ ترجمة المثال كلمة بكلمة، مثل:

John [$_{VP}$ likes [$_{NP}$ every boy]]

شاب كل يحب جون

سأستعمل في الكتاب كل هذه الأساليب مع ما أراه مناسبًا للمثال المذكور.

(1) انظر مثلًا: ليونز، جون. نظرية تشومسكي اللسانية. ت: حلمي خليل ص 124 ـ 125.

مقدمة المترجم

سادت المقاربة السلوكيّة - البنيوية في مجال اللسانيات حتى ستينيات القرن الماضي تقريبًا، حيث كان لا يعدو اشتغال اللساني الترتيب والتصنيف وتحليل البيانات التي جمعها. ترى المقاربة السلوكية بأن المهمة الحقيقة للساني تكمن في وصف لغة الإنسان بأكبر قدرٍ من الموضوعية، مقللة من شأن ما يقع وراء ذلك، بما فيه محاولات التفسير. فاللغة - في نظر هذه المقاربة - ظاهرة اجتماعية، وما على اللساني إلا الجمع والتوصيف والتصنيف، لا أكثر من ذلك. هنا تحديدًا تبرز مساهمة تشومسكي والنحو التوليدي التي عادةً ما تُوصف بأنها «ثورية».

يُعلِّق تشومسكي في إحدى محاضراته على هذه المقاربة قائلًا: «القول بأن مهمة اللسانيات هي وصف اللغة كالقول بأن مهمة الفيزياء هي قراءة عدادات القياس»[1]، ما يعنيه هنا هو بأن ثمّة خللًا ما في الاكتفاء بالوصف فقط، حتى لو كان ذلك باسم الموضوعية المنشودة. إذن، كيف ينبغي على اللساني دراسة موضوع دراسته (اللغة)؟.

يلفت تشومسكي نظرنا إلى أن القول بأن اللغة ظاهرة اجتماعية (بمعنى أن الطفلة «تتعلمها» من محيطها) فيه إشكالية كبيرة: فكيف

(1) Chomsky, Noam. **Language use & design: conflicts & their significance** Prof Noam Chomsky (2013/4/4) Retrieved from https://www.youtube.com/watch?v=iR_NmkkMm.

يُعقل أن تعرف هذه الطفلة تعقيد لغتها (أو لغاتها) الأم معرفة تلقائية في ظرف سنوات قليلة مما سمعته فقط؟ إن ما تسمعه ـ كائنًا ما كان عدده ـ يفشل في تفسير قدرتها على فهم لغتها وإبداع كلمات جديدة، كلمات لم تسمعها قط. سُميّت هذه الإشكالية/ الحجَّة بـ «شحِّ المحفِّز»[1].

بالإضافة إلى أمرٍ في غاية الوضوح: اللغات المُعيَّنة/ الخاصة (العربية أو الهندية أو الإنكليزية... إلخ) غير فطريَّة[2]، بمعنى، لو أننا أخذنا فتاة ولدت في السعودية (ولنُسمِّها رزان) ووضعناها من يومها الأول لتعيش بقية حياتها في الولايات المتحدة؛ فسوف تتحدث رزان الإنكليزية ـ الأميركية وليس العربية ـ السعودية. يبدو هذا بديهيًا، لكنّه يلفتنا إلى أمرٍ هام: اللغات المُعينة ليست فطرية، بينما القدرة اللغوية كذلك.

ينتهي تشومسكي إلى القول بأن اللغة يجب أن تكون فطرية؛ فاللغة لا «تُتعلَّم» بل تُكتسب (تنمو)، فالمعرفة اللغوية موجودة في تركيبة رزان الأحيائية. تمامًا كما أن الإنسان ينمو له ذراعان ـ وليس جناحين ـ متى ما توفرَّت لها البيئة المناسبة. إذن هناك «حالة» تجمع رزان ومن يتحدث العربية ومن يتحدث الإنكليزية، حالة تجمع جميع البشر قبل (اكتسابهم/ ن) (للغاتهم/ ن)، يُطلق تشومسكي على هذه الحالة: الحالة الأولى.

في نظر تشومسكي، ثمَّة قواعد كلية تولد اللغات الطبيعية تُمثل جزءًا من تكوين الإنسان الأحيائي، وعلى اللساني أن يشتغل في بحث هاته القواعد. لقد دعا إلى أن يتحول تركيز اللساني من الملفوظات الناجزة،

(1) Poverty of Stimulus. وتُترجم بـ «فقر المُنبه»، و«شحّ المُدخلات» وترجمات أخرى.

(2) كمال، رشيدة العلوي. **النحو التوليدي: بعض الأسس النظرية والمنهجية**. بيروت: منشورات ضفاف، 2014: ص 165.

أو اللغة الخارجية، إلى اللغة الداخلية. طرح تشومسكي في كتابه الحَدث «البنيات التركيبية» (1957م) مقاربة تُقدِّم أدوات صورية (رياضية) تسمح، بشكل عام، بوصف وتحليل وتعيين جمل اللغات الطبيعية، وفي معرفة كيفية توليدها. عُرفت هذه النظرية بالتوليديّة، ومن هنا أتت اللسانيات التوليديّة، فاللسانيات التوليدية نظرية عن الحالة الأولى.

نشر تشومسكي بعد ذلك كتابه: «ملامح النظرية التركيبية» (1965م) الذي ميَّز فيه بشكل واضح بين القدرة (قدرة المتكلمين) والإنجاز (الملفوظات المُنتجَة). فالقدرة هي معرفة المتكلِّم الضمنية بقواعد اللغة، والإنجاز هو تمظهر هذه القدرة في عملية التكلُّم، ويذكر أيضًا أن الإنجاز يخضع إلى عوامل نفسية متعددة، وبالتالي هو لا يعكس مباشرة قدرة المُتكلِّم[1] وبناءً عليه، مفهوم اللغة عند التوليدي يختلف عن مفهومها في الاستعمال اليومي، ذلك الاستعمال الذي يرى اللغة على أنها مدونة متناهية من الملفوظات أو الشيء المُنجز، فعندما يتحدث التوليديون عن اللغة فهم «يقصدون عمومًا القدرة الإنسانية على الكلام بأي لغة (خاصة)»[2]

بعدها بعام نشر كتابه: «اللسانيات الديكارتية» (1966م)، حيث يمُوضع نظريته مع آراء الفلاسفة العقلانيين من أمثال ديكارت وهومبولت، ويشير في الكتاب إلى وجود مفاهيم أساسية اعتمد عليها في تنظيره عند هؤلاء الفلاسفة، كمفهوم القدرة على إنتاج عدد لا متناهٍ من الجمل وفكرة

(1) زكريا، ميشيال. **الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية**. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1986. ص 18.

(2) كمال، رشيدة العلوي. **النحو التوليدي: بعض الأسس النظرية والمنهجية**. بيروت: منشورات ضفاف، 2014: ص 34.

الفطرية. لكن تشومسكي يختلف عن ديكارت في مسألة مهمة تحدد منهجيته العلمية ورؤيته الأنطولوجية.

بإيجازٍ مخل: يرى ديكارت بأنه لا وجود للفراغ، فأنت لا تتخيل وجود جسم من دون فراغ (فأحدهما يقتضي الآخر)، وبالتالي، الفراغ مادة، والكون كله مادة، وللمادة مبادئ وقوانين. لكن ثمّة مشكلة في مواءمة هذه الرؤية مع حقيقة حرية الفعل الإنساني (الشيء الذي يميزه من الكائنات الآلية والحيوانات)؛ فالإنسان غير مجبر على فعل شيء تحت ظروف معينة (على عكس الآلة)؛ فهو غير خاضع لمبادئ وقوانين المادة؛ فكيف حلَّ ديكارت هذه المشكلة؟.

حلَّها عن طريق ما سمَّاه بالذهن (العقل)، فهو يرى بأن الذهن (الغير موجود في العالم المادي) غير خاضع لمبادئ المادة، لكن يتفاعل ويأثر أحدهما بالآخر. ومن هنا أتت ثنائية الذهن والجسد المعروفة، والتي عادةً ما تُربط به. في رأي تشومسكي، لا مسوغ لافتراض ثنائية الذهن والجسد من بعد نيوتن، ولا يعود ذلك إلى عدم وجود مفهوم متماسك للذهن ـ كما قد يُتصوَّر ـ بل إلى عدم وجود مفهوم متماسك للجسد[1]. فكما يقول تشومسكي: مفهوم المادة نفسه لم يُعد متماسكًا منذ أن قدَّم نيوتن مفهوم الجاذبية (أي: تأثير وتفاعل المادة عن بعد).

ومع هذه النظرة الطبيعية لمفهوم الذهن، يرى بأن اللغة (بوصفها عملية ذهنية أحيائية) يجب أن تدرس، كما يُدرس أي شيء مادي آخر. ويبني

(1) Al ـ Mutairi, Fahad Rashed. (2014). **The Minimalist Program: The Nature and Plausibility of Chomsky's Biolinguistics.** Cambridge: Cambridge University Press. P.165.

منهجيته العلمية في دراسة اللغة على ما يُعرف بالـ «أسلوب الغاليلي»، هذه المنهجية التي تعتمد على التجريد، ولا تكترث كثيرًا برصد المعطيات «Data» وتعقُّدها، بقدر ما تهتم بما يحدث خلف هذا التعقُّد. وتقتضي هذه المنهجيّة «أن نضفي على المعطيات غير المتجانسة والغريبة قدرًا كبيرًا من الوضوح «النيوتوني»، أي: الاهتمام بوضوح النظرية لا العالَم»[1] ويُمكن أن نرى هذا ـ كما ذكرت ـ في اهتمام التوليدي بالقدرة اللغوية نفسها التي أصبحت بهذه الرؤية موضوعًا مُجردًا على الرغم من واقعية معطيات اللغة[2].

عدَّل تشومسكي نفسه وطور من نظرياته وأدواته؛ ففي الستينيات قدَّم ما عُرف بـ «النظرية المعيار»، ثم قدَّم «النظرية المعيار الموسعة» في السبعينيات، و«المبادئ والوسائط» في الثمانينيات[3]، حتى وصل إلى البرنامج الأدنوي في التسعينيات. هناك من يقول بأن تأثير اللسانيات التوليدية قد تضاءل منذ الثمانينيات[4]. مع ذلك، وعلى الرغم من أن آراء تشومسكي لم تكن يومًا موضع اتفاق بين اللسانين أصلًا، بل ودائمًا ما تعرضت آراءه إلى أخذ ورد ومهاجمة حتى من الفلاسفة (مثل هيلاري بتنام وجون سيرل) بل وحتى علماء نفس (مثل جان بياجيه).

---

(1) تشومسكي، نعوم. ت: محمد الرحالي. **اللسانيات التوليدية: من التفسير إلى ما وراء التفسير**. بيروت: دار الكتاب الجديد، 2013: ص 27.

(2) أيضًا، بناءً على هذه المنهجية، لا يوجد فرق بين ما يُسمى العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية «فمفهوم العلمية يحدده البناء النظري والخطوات المنهجية التي يتناها العالِم في مقاربته للموضوع لا الموضوع؛ بمعنى أن التصور هو الذي يحدد العلمية لا المَاصَدَق. فلا يوجد موضوع علمي وموضوع غير علمي، ولكن توجد منهجية علمية ومنهجية غير علمية» المصدر نفسه، ص30.

(3) بافو، ماري آن، جورج إليا سرفاتي. ت: محمد الراضي. **النظريات اللسانية الكبرى: من النحو المقارن إلى الذرائعية**. بيروت. المنظمة العربية للترجمة، 2012. ص 274.

(4) المصدر نفسه، ص 280.

مع هذا، ثمَّة ما يُتعلَّم من مشوار تشومسكي العلمي، ذلك الشيء الذي ما فتئ يذكِّر به في كتاباته ومحاضراته: الرغبة في الاندهاش، أي: مُساءلة ما هو «عادي» و«يومي»، هذا الاندهاش الذي قاده إلى جرأة إعادة مسائل كانت تُعد من الماضي الذي تم تجاوزه (مثل فكرة الفطريَّة)، والتفكير في معطى يومي (اللغة) من خلال زاوية تخالف السائد في وقته (موقفه ضد المدرسة السلوكية ـ البنيوية)، وطاقته العظيمة في الدفاع عن موقفه، وتفنيد آراء مخالفيه على امتداد هذه العقود. هذا الذي دفعني إلى ترجمة هذا الكتاب الصغير: المساهمة في تعريف القارئ العربي بواحد من أهم العلماء في زماننا، بل دون مبالغة، في تاريخ البشرية أجمع.

وأود في ختام هذه المقدمة القصيرة أن أشكر الأستاذ يوسف الصمعان ودار جداول على إتاحة فرصة ترجمة الكتاب، وأتوجه بشكري الخاص وامتناني للدكتور فهد المطيري صاحب الروح الكريمة الذي منحني الكثير من وقته في مراجعة قسم كبير من الترجمة ولتعليقاته التي استفدت منها أيما استفادة، وأشكر أيضًا الدكتور حمزة المزيني الذي قرأ جزءًا من المسودة الأولى وذكر بعض الملاحظات التي ساعدتني في تجنب بعض الهفوات والزلّات، مع التأكيد على أن الشكل النهائي للكتاب مسؤوليتي وحدي.

مقدمة المحرِّرين

يُعدُّ نعوم تشومسكي واحدًا من أكثر المؤلفين إبداعًا وأغزرهم تأليفًا ونشرًا في موضوعي اللغة والذهن (العقل). فبالإضافة إلى كتابته لعدَّة كُتب وبحوث، خاطبَ، وظلَّ يخاطب، شريحة جماهيرية واسعة من كل بقاع الأرض في هذين الموضوعين. نُشر عدد من هذه المحاضرات في كُتب مُفردة[1]. رأينا مع ذلك ضرورة الإضافة لهذه القائمة الضخمة والمتنامية.

مكثَ تشومسكي في الهند لما يقارب الأسبوع في كانون الثاني/ يناير 1996م. بدأت الزيارة بسلسلة من المحاضرات في ديلهي[2]. من بين المحاضرات الخمس التي قدَّمها، انفردت واحدة فقط بعمله في اللغة والذهن[3]. ولَّد الحدث حماسًا لم يسبق له مثيل في المجتمع الأكاديمي في دلهي. امتدت المحاضرة نفسها لساعة ونصف تقريبًا، وأتبعها فقرة سؤال وجواب في غاية الحماسة تلامس مواضيع شتى. سُلِّمت الكثير من الأسئلة، وبقيت بلا جواب، مما جعل تشومسكي يوافق على الإجابة

(1) انظر: (Chomsky) 1987a, 1987b, 1988, 1993a, etc.

(2) ذهب تشومسكي من ديلهي إلى كلكتا وحيدر آباد وثيروفانانثابروام ومايسور ومومباي.

(3) ألقيت في قاعة طاغور في جامعة ديلهي. بقية المحاضرات كانت عن قضايا سياسية، وألقيت في جامعة ديلهي للاقتصاد (مرتان)، وفي جامعة جواهر لال نهرو، وفي قاعة شانكارلال في جامعة ديلهي.

عليها عندما يعود إلى معهد ماساتشوستس. عدَّة أسئلة جمعها قسم اللسانيات في جامعة ديلهي، وأُرسلت إلى تشومسكي الذي ردَّ بجوابٍ مُفصَّل في غضون شهر.

عَلِمنا فيما بعد أن تشومسكي يفعل نفس الأمر كلما ألقى محاضرةً. على أي حال، نقاش فكري مطوَّل ومُنتشر وحاد كهذا أمر نادر الحدوث في المشهد الأكاديمي الهندي. زيارة تشومسكي للهند أتت بعد انقطاع دام أكثر من خمسة وعشـرين عامًا، وإذا تذكَّرنا جدوله المُزدحم، لاَ يُعلم متى ـ أو بالأحرى لو ـ سيعود. إذن المناسبة نفسها، خصوصًا مشاركة الجمهور المتحمسة، تستحق التوثيق. فضلًا عن ذلك، استُلمت العديد من الطلبات بعد الحدث تطلب نسخًا من التسجيل والتفريغ النصَّي للمحاضرة. العديد من المستفسرين المتحمِّسين الذين جاوبهم تشومسكي بكل كرم من معهد ماساتشوستس اختفوا عن أنظار المُنظِّمين لحظة تفرق الحضور، وشعرنا بمسؤولية الوصول إليهم على الأقل. وعليه، أصدرنا هذا الكتاب.

ثمّة سببٌ فكري خالص أيضًا خلف نشر هذا الكتاب: كُلِّف تشومسكي بالمهمة الصعبة لتعقُّب سلسلة الأحداث التاريخية كلها، التي بدأت مع باكورة بحوثه عن اللغة[1] التي قادت إلى البرنامج الأدنوي (Chomsky 1995b). طُلب منه أيضًا رسم معالم بعض التجديدات التخصصية

(1) انظر: (1955م Chomsky) التي هي نسخة مُنقحة جزئيًا من مخطوطة تتضمن أطروحته للدكتوراة سُلمت لجامعة بينسلفانيا. على أي حال، (1957م Chomsky) ومراجعة الكتاب اللاحقة التي كتبها روبرت ليس (Robert Lees) في دورية لغة (Language) زجَّت بتشومسكي في الشهرة العالمية. الاهتمام بتشومسكي من غير اللسانين قد يعود إلى مراجعته لكتاب ب.ف.سكينر (B.F.Skinner) **السلوك اللفظي** (انظر: 1964م Katz and Fodor). مناظرة عام 1975م بين تشومسكي وبياجيه (نقلها بياتيللي بالماريني في 1980م) هي حدث بارز آخر أثر في الاهتمام العالمي بتشومسكي. انظر: (Barsky 1997) لتوصيف لبعض من هذه الأحداث المهمة وغيرها في مسيرة تشومسكي. انظر أيضًا على سبيل المثال (1982م

المفتاحية التي ميَّزت النحو التوليدي في السنوات الأخيرة. بالتالي، قُصد أن تكون المحاضرة محاضرةً عامة بقدر ما هي خطاب متخصص إلى اللسانيين المتخصصين.

سيحكم القرَّاء بأنفسهم وأنفسهنّ إلى أي مدى حقق تشومسكي هذه المهمة. مع ذلك، حقيقة أنه تمت محاولة إنجاز هذه المهمة هي بذاتها حقيقة مُذهلة. لا نعلم عن وجود أي مادة منشورة خلال الفترة القريبة الماضية ناقش فيها هذا العدد الكبير من المواضيع في غضون محاضرة واحدة. على حدِّ علمنا، محاضراته المنشورة - أحيانًا سلسلة منها - تناقش عادةً إما قضايا عامة وفلسفية مع نقاش غير متخصص أبدًا عن عمله التخصصي[1]، أو تتعمَّق مباشرةً في نقاشٍ تخصصي بعد ملاحظات تمهيدية مختصرة لها سِمة العمومية. ناقش في هذه المحاضرة الأمرين معًا، ولم يفعل ذلك قسرًا إرضاءً للمستضيفين، كما يُبين ذلك الإعداد الدقيق للمحاضرة. نشعر بأنه حاول في هذه المحاضرة تكثيف إنتاجه إلى درجة ستصبح غير قابلة لتحقق بمرور الوقت.

ما يحدث عادةً في تاريخ العلوم هو أن الأهداف المفهومية العامة لبرنامج بحثي تتحقق بشكل هامشي في العمل التخصصي الفعلي. قد تحتفي إحداهن بمجموعة كبيرة من الحجج الفلسفية والمنهجية والبديهية للمحاجة على بعض النقاط المفهومية، لكن البحثَ التجريبي يستمر لوقتٍ طويل تقريبًا غير عابئ بهذه الحجج. فيما يخص اللسانيات الحديثة،

Chomsky). ذُكرت بعض من هذه الأحداث في فيلم صناعة التأييد: نعوم تشومسكي والإعلام (Manufacturing Consent: Noam Chomsky and the Media) الذي أخرجه بيتر وينتونيك ومارك أتشبار.

(1) بما في ذلك المراجع المذكورة في الهامش 1.

نستحضر أنه على الرغم من أن تمييز النحو الكلي بوصفه محددًا جينيًا كان الهدف المحدَّد للسانيات الحديثة مُنذ بدايتها تقريبًا[1]. كان للبحث التجريبي في الأعم الأغلب أقل القليل في الحقيقة ليُساهم به، ويعود السبب في ذلك ببساطة إلى أن تصميم مبادئ النحو الكُلي كانت مجهولة إلى حدٍّ بعيد في تفاصيل اشتغالها. كما يُشير تشومسكي إلى ذلك في المحاضرة: حدث أول إنجاز رائد مع إطار عمل المبادئ والوسائط في بداية الثمانينيات، عندما بدأ يتحقق المفهوم في ضوء البحث التجريبي على نحو ملموس.

يفرض ذلك بشكل حتمي تغيرًا مُعينًا في أسلوب ومحتوى أطروحات تشومسكي اللاحقة، بما في ذلك كتاباته. على سبيل المثال، في كتاب: معرفة اللغة[2]، يكرِّس تشومسكي جزءًا كبيرًا (في الحقيقة، الجزء الأكبر) لنقاشات تخصصية أنعشت البحث اللساني لسنوات. وصلت المرحلة التي يُمكن للأفكار الفلسفية العامة فيها أن تُستقصى بعمق من خلال أدلة تجريبية حقيقية ومُحكمة وبأدوات تقنيّة (تخصصية) مُبتكرة[3] حتى في ذلك الحين كان مُمكنًا إلى حدٍ بعيد للقراء العامين أن يتذوقوا طعم

(1) انظر: Chomsky (1965) خصوصًا الفصل الأول، لإقرارٍ واضحٍ وصريح لهذا الهدف.

(2) انظر: Chomsky (1986a).

(3) كتب تشومسكي ثلاثة أنواع من الكتابة في موضوع واحد فقط (أُفرودة/ monograph) في اللغة والذهن: (أ): كتابات متخصصة تمامًا تخاطب اللسانيين المتخصصين (1955, 1965, 1981, 1982, 1986b, 1995b etc)، (ب): كتابات عامة مقصودة للشريحة الأكبر من الجمهور الغير متخصص (1987a, 1987b, 1988, 1993a, 1997 etc)، (جـ): متخصصة نوعًا ما تخاطب المتخصصين في الحقول التخصصية القريبة واللسانيات على حدٍّ سواء (1966, 1972a, 1975, 1980, 1986a). كما قال جورج (George 1978: 155)، تتضمن المراجع في (جـ) عادة: «... وضع إطار العمل العام الذي يرى من خلاله تشومسكي مشروع اللسانيات، ولمحات لتفاصيل نظرية حالية، وفقرة «الترحيب بكل المهاجمين» المألوفة الآن التي يحاول فيها تشومسكي إبطال أي تحدي ملحوظ للمشروع، خصوصًا تلك القادمة من

التخصص مع تجاهل الأجزاء التقنية. كان من المُمكن أيضًا للسانيين المتخصصين تجاهل الفصول «الفلسفية» من دون فقدان زخم الحجة. مع ذلك، أصبحت كل من هذه التجاهلات متعذِّرة على نحو متنامٍ.

جلب إطار عمل المبادئ والوسائط مبادئ النحو الكلي والمَلَكة اللغوية إلى مركز اهتمام البحث اللساني[1]. ما إن بدأت بعض الخصائص الغير متوقعة والعميقة لهذه المَلَكة في البروز على السطح حتى أصبح ممكنًا طرح أسئلة كانت لا تخطر على البال قبل سنواتٍ قليلة: كيف يُمكن تحديدًا لجزء من الذهن أن يكون مصممًا لأغراض اكتساب اللغة في حال توفر الشروط التي يحدث فيها اكتساب اللغة؟ أي جزء من النظرية يعرض هذا التصميم حقًا، وأي جزء يعرض مواءمة نظرية فحسب؟ بأي معنى تُعتبر المَلَكة اللغوية نظامًا إحيائيًا؟ لمن المُذهل في الحقيقة أنه يُمكن طرح هذه الأسئلة، وتُبحث ـ جزئيًا ـ ضمن بحث تجريبي صارم. فبالتالي تلاقت أسئلة عامة ومفهومية وتجريبية وتخصصية كثيرة في برنامجٍ واحد[2]. من المُرجح أن يُفقد شيء في غاية الأهمية فيما يخص البرنامج ككل في حال غاب عن البال أي من هذه الأجزاء المفردة. لا

أوساط فلسفية». لم ينشر تشومسكي أي شيء في هذا المجال منذ (1986a). في نظرنا، في الحقيقة لا تنتمي المحاضرة الحالية إلى المادة في الفئة (أ) أو (ب). وعلى الرغم من أن المادة المُقدّمة هنا أصغر حجمًا وأضيق مجالًا بكثير من تلك المذكورة في (جـ)، نعتقد بأنها تنتمي جوهريًا إلى نفس الفئة.

(1) انظر: Jan Koster, Henk Van Riemsdijk, and Jean Roger Vernaud, «The GLOW Manifesto» (in carlos Otero (ed.), 1994, Vol.1, p.342. [مانفيستو لتعق].
«لتعق» اختصار لـ«اللسانيات التوليدية في العالم القديم»، منظمة عالمية مقرها في أوروبا.

(2) ثمّة إغراء بطبيعة الحال لعقد مقارنات مع أكثر أجزاء تاريخ العلم استنارة، لكن هذا التمرين من الأفضل تركه للقارئ والقارئة. هناك بعض التلميحات من تشومسكي حول هذه النقطة في قسم المناقشة.

ينطبق هذا على القراء العامين فحسب، بل قد يتضمن ذلك اللسانيين المتخصصين. فضرورة المهمة تزداد إلحاحًا مع تصاعب المهمة نفسها.

كانت المحاضرة الحالية - في نظرنا - حدثًا حاول فيه تشومسكي تحقيق مهمة دمج القضايا الفلسفية والمفهومية من ناحية، والتطورات التقنية (التخصصية) والبحث التجريبي من ناحية أخرى. عَرض تاريخ النحو التوليدي عرضًا وافيًا مُنتقيًا تلك النقاط فقط التي قادت في النهاية إلى البرنامج الأدنوي. خلال فعله لذلك، طرح الافتراضات حول الأنظمة المعرفية الإدراكية المُضمَّنة في الأبحاث الحالية عن بنيان اللغوية(*)، وقدَّم إشارات عن المنحى الذي قد تنحو نحوه هذه الأبحاث. أُعيدت صياغة العديد من الأسئلة القديمة خلال ذلك، والعديد من القضايا التي احتلت مكانة مركزية في وقت سابق، وضعت جانبًا أو تُركت حتى، وعُرض المنطق المحض للبرنامج الجديد بتفنن بديع ووضوح. سيجد أولئك المهتمون بالتاريخ الداخلي للسانيات التوليدية الحديثة هذه المحاضرة مُفيدة بشكل هائل.

أتت الأسئلة من كل الجمهور، بما في ذلك اللسانيين المتخصصين، ولا عجب. وضَّحت أجوبة تشومسكي الصبورة والمطوَّلة العديد من النقاط التي بالكاد لامسها خلال المحاضرة. بالتالي، شكلت المحاضرة والإجابات معًا كُلًّا ميسورًا وجدت فيه الكثير من الملامح الهامة للبرنامج الجديد صياغة واضحة.

كما أشرنا، تمت الإجابة على بعض الأسئلة أثناء الجلسة نفسها، بينما أُجيب على الباقي كتابةً من معهد ماساتشوستس. في ثورة حماس

(*) «بُنيان هي الترجمة التي اخترتها لمفردة Architecture التي يترجمها حمزة المزيني في آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل بـ «معمار» (المركز القومي للترجمة، 2015) وترد ترجمة المفردة في معجم المصطلحات اللسانية لعبد القادر الفاسي الفهري (دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009) بـ «هندسة». (المترجم)».

الحدث (والارتباك الناتج عنه)، تبين أن تشومسكي قد جاوب كتابةً بالفعل على بعض الأسئلة التي أجاب عنها قبل ذلك في أثناء الجلسة. لذلك عدّة أسئلة لها إجابات مزدوجة: شفهية وكتابية. أحيانًا تختلف هذه الإجابات عن بعضها بعضًا في الأسلوب والمحتوى بشكل جوهري، لكن لأغراض هذا الكتاب، بذلنا قصارى جهدنا لنضمِّن الإجابتين في نص واحد ومتسق. سندع للقارئ والقارئة تحديد هذه الإجابات «المخلوطة»، سنشعر بالفخر إذا لم يستطيعوا العثور عليها.

فيما يخص تنظيم جلسة المناقشة، سنستفيد من حقيقة أن الأسئلة سُلِّمت كتابةً، وبالتالي لم يُجاوب عليها بترتيب معين. بصرف النظر عن تباين الأسئلة، تنتمي الأسئلة إلى حدٍ بعيد إلى ثلاث مجموعات، يبدو بأنها تُماثل ثلاثة أجزاء رئيسية من المحاضرة. رُتبت الأسئلة هنا بناءً على درجة تنازلية من العمومية في كل مجموعة: مجال اللسانيات، واكتساب اللغة، ونظرية اللغة.

أضفنا كذلك بعض الإحالات والهوامش التوضيحية إلى أولئك الراغبين في النظر في القضايا أكثر. فضلًا عن ذلك، كما سترى القارئة، شعر تشومسكي بأنه اضطر إلى تضييق نطاق متلقيه عندما ناقش أحدث تطورات التخصص. ستُمكِّن الهوامش المطوَّلة المُقدَّمة هنا ـ بأسلوب نأمل بأنه في المتناول ـ على الأقل بعض القراء غير المتخصصين استشفاف النقاط التخصصية[1] بما أنه لم يكن في مقدور تشومسكي الاطِّلاع على أكثر هذه المادة المضافة؛ فإننا نتحمل كامل المسؤولية على هذه الفقرات.

(1) كُتبت المفاهيم التخصصية (التقنية) الموضَّحة في الهوامش باعتبار بعض الصيغ المُبكرة لإطار عمل المبادئ والوسائط، في مواضع محددة، قُدِّمت بعض التلميحات المطوَّلة عن كيف أن بعض من هذه المفاهيم قد عُدلت أو اُستغني عنها في الصيغ الأحدث.

توزعت المهمة بين ثلاثتنا على النحو التالي: نسخ موكيرجي وباتنايك المادة بشكل أولي[1]. كتب موكيرجي مسودة هذا التمهيد، وأعد قائمة أولية بالهوامش والمراجع. كتب باتنايك الهوامش التخصصية وأضاف هوامش ومراجع إضافية. نظر أغنيهوتري في المادة المُعدَّة في كل مرحلة واقترح تعديلات، كما أشرف على المشروع، مُشتغلًا كحلقة وصل بين موكيرجي وباتنايك وتشومسكي والناشرين. راجع كل واحد منا مهمات الآخر مرارًا وتكرارًا. هذا الكتاب الصغير هو بحق نتيجة تعاون ودِّي وجسور جعله نعوم تشومسكي مُمكنًا.

نودُّ التعبير عن امتناننا لقسم اللسانيات في جامعة ديلهي لرعايتهم لهذا المشروع، وللمؤسسة الهندية للدراسات المُتقدمة، ولشيملا (Shimla) لتسهيلها إعداد المادة. نشكر البروفيسور أ.ك.سينها (A.K. Sinha) لمساعدته وتشجيعه. شكر خاص لتيستا باغشي (Tista Bagchi) لجمعها وترتيبها الأسئلة المُرسلة لتشومسكي. أخيرًا، شكرنا الخالص لنعوم تشومسكي نفسه لاهتمامه الفاعل في هذا المشروع.

N. Mukherji
B. N.Patnaik
R. K. Agnihotri

---

(1) جزء من المشكلة ناتج من ظروف النسخ: حدَّة الصوت والتوقيت اللتان تحددان العبارات قد فُقدتا، والنسخ من أي شيء عدا تسجيل عالي الدقة لا يعول عليه. نعم، في النَسخ المستقل للبيت الأبيض لـ... تسجيلات ذات الجودة الرديئة، تُنقل العديد من المقاطع المحيِّرة بشكل معقول أكثر. على سبيل المثال: أريد [من] الـ آه، آه، الذهاب تنقل أريدهم، آه، آه، أن يذهبوا. (Pinker 1995: 224).
لم نستعمل حتى تسجيلات عالية الدقة. بالتالي، أولًا، مسحنا الـ آه، آه ـ ات، وأعدنا تركيب العبارات بالطريقة الثانية التي أضيف إليها علامات الترقيم والكتابة على شكل قطع.. إلخ. ثم بعد عدّة تحريرات في الأسلوب، أرسلت مسودة مع سلسلة من الاقتراحات إلى تشومسكي. عدَّل تشومسكي وصحح وأضاف ومسح الكثير. أدمجت هذه في النص قبل «تحرير النسخة» الأخيرة.

اللغة وتصميمها

محاضرة ديلهي، كانون الثاني/ يناير 1996م.

أجدني حائرًا بين إغرائيين. الأول هو الحديث عن مجموعة من الأسئلة الهامة التي طُرِحت توًّا[1]. والآخر هو الحديث عن الموضوع الذي طُلب مني الحديث عنه، وهو موضوع مختلف. أود الحديث حول السؤال الذي طرحه البروفيسور أغنيهوتري (Agnihotri) للتو، لكن قد يكون من الأفضل لو أجلنا ذلك إلى المناقشة.

هل تسمعوني؟ ربما لا يمكنكم سماعي.

(جزء من الحضور): لا.

إذا قلتم: «لا»؛ فإذن يمكنكم سماعي.

الجواب المختصر لسؤال العلاقة بين الموضوعين هو: نعم بالفعل، أنا مهتم بكليهما. يتعلق أحدهما باللغة بوصفها عضوًا أحيائيًا ـ واضح للغاية بأنها كذلك ـ ومن شأن هذا الموضوع، في ظني، إتاحة قدر كبير من البصيرة حول الطبيعة الجوهرية للكائنات البشرية. الموضوع الآخر يتعلق بحياة الإنسان ومشكلاتها واستعمال اللغة كأداة استغلال... إلخ. لكن

(1) في كلمته الافتتاحية، ذكر راما كانتْ أغنيهوتري (Rama Kant Agnihotri) من جامعة دلهي ـ بالإضافة إلى أمور أخرى ـ الأسئلة التالية: لماذا لا تدفع سياسات تشومسكي إلى أن يرى اللغة بوصفها أداةَ استغلالٍ إضافية في المجتمع؟ كيف يتصالح شخص تأثر أشد ما يكون التأثر بالمعاناة الإنسانية مع اعتبار اللغة كنسق أحيائي إدراكي بالكامل، بدلًا من اعتبارها مكونًا أساسيًا من ألعاب السلطة الاجتماعية؟.

في المجال الثاني، لا يوجد أي شيء معروف له عمق، على حد علمي. قد يتظاهر أناس بأن ثمّة عمقًا ما، وقد يجعلونه يبدو مُقعَّدًا، هذا هو عمل المثقفين. ما هو مفهوم يكمن على السطح إلى حدّ كبير، ومُتاح بسهولة على أي حال.

العلم نشاط في غاية الغرابة، يكون ناجعًا للمشكلات البسيطة فحسب، حتى في العلوم الصِّرفة، عندما تذهب في تحليلك إلى ما وراء البنيات الأكثر بساطة، يصبح التحليل وصفيًا للغاية. على سبيل المثال، إذا وصلت إلى دراسة الجزيئات الكبيرة؛ فإن أغلب ما تقوم به هو وصف الأشياء. الفكرة التي تشير إلى أن التحليل العلمي المُعمّق يخبرك بشيء حول المشكلات المتعلقة بالبشر وبحياتنا وعلاقاتنا الداخليّة مع بعضنا بعضًا، إلخ، هي في الأعم الأغلب ادعاء واهِم في رأيي، ادعاء يخدم ذاته، وذلك بدوره أداة للسيطرة والاستغلال يجب أن تُجتنب. تقع على عاتق المتخصصين، بكل تأكيد، مسؤولية عدم دفع الناس إلى الاعتقاد بأن لدى الإنسان المتخصص معرفة خاصة من نوعٍ ما لا يُمكن للآخرين الوصول إليها من دون طرق معينة أو تعليم جامعي خاص أو ما شابه ذلك. إذا كانت الأمور بسيطة؛ فيجب أن تُقال ببساطة، وإذا كان شيءٌ ما جديًا بمعنى أنه ليس بسيطًا؛ فلا بأس، هذا جيد ومشوق. ربما يُمكننا العثور على إجابات عميقة لأسئلة محددة تتعلق بشكل مباشر بقضايا تهم الإنسان وتعنيه، لكن نادرًا ما يحدث ذلك. على أي حال، هذا رأيي. لذا فأنا مهتم بكلا الموضوعين[1] وأقضي جلّ وقتي وجهدي فيهما، لكن لا يبدو بأنهما يتداخلان.

(1) عُنونت في (Chomsky 1986a) بـ«مشكلة أفلاطون»، و«مشكلة أورويل»، تباعًا. انظر: (Chomsky 1993a) لنقاشٍ حول علاقات محتملة بين هذه الإشكالات. انظر: في المراجع (Barsky 1997) لرؤى تشومسكي الاجتماعية والسياسية. انظر أيضًا: (Ray 1995) والفيلم المذكور في الهامش رقم (1) ص 16من مقدّمة المحرِّرين. بما أن المحاضرة الحالية لم تتعرض بشكل صريح لمشكلة أورويل؛ فلن نُضمِّن مراجع لأعمال تشومسكي الهائلة في هذا المجال.

دعوني أتحدث عن المجال الذي يبدو من خلاله أنّ مقاربة البحث العقلاني (أي، مقاربة العلوم الطبيعية) تقودنا بالفعل وبشكل مدهش إلى مكان ما في دراسة الكائنات الحيّة المعقدة، وأعني به مجال اللغة الإنسانية. هذا أحد المجالات القليلة جدًا والمتعلقة بوظائف الإنسان المعقدة حيث يمكننا أن نعثر فيها ظاهريًا على أشياء مُفاجئة ـ وربما حتى عميقة ـ أشياء من تلك التي يُمكنك العثور عليها من خلال دراسة جوانب أخرى قليلة في العالم الطبيعي. لا يوجد العديد منها، لكن يوجد بعضٌ منها، ويبدو بأن هذه إحداها، أو آمل أن تكون كذلك.

ما أوّد القيام به هو أن أرسم خطوطًا عريضة لبعض المراحل الأخيرة من برنامجٍ بحثي يعود إلى زمنٍ بعيد. أريد أن أتدرج بالحديث حتى أصل إلى الأمور الجارية في السنوات القليلة الماضية في ما أصبح يُسمى بـ «البرنامج الأدنوي». سأذكر شيئًا حول افتراضاته ودوافعه المُؤسّسة، وبعض الاتجاهات التي نتجت عنه في الآونة الأخيرة، وعلاقة كل هذا بأسئلة كلاسيكية في دراسة الذهن واللغة. بالكاد سأتمكن من ملامسة الموضوع الأخير، يمكنني الحديث عنه إذا رغبتم ذلك طالما أن هذه الأسئلة لا زالت حاضرة وبقوة. سرعان ما تصبح الدراسة اللسانية نفسها تخصصية جدًا، لكن سأبقى عند الخطوط العريضة. لكن، أقولها مرة أخرى، إذا أردتم وأردتن ذلك؛ فسوف أتحدث بشكل موسَّع عن بعضِ الأجزاء التخصصية.

أولًا: هذه بعض الافتراضات المؤسِسة. هي مألوفة إلى حد بعيد، وأعتقد بأنها مُتبنّاة على نطاق أوسع مما يظنّه العديد من الناس. لا أعتقد بأنها محصورة بهذا البرنامج. عادة ما تُتبنى ضِمنيًا، لكن إذا كنّا نحاول بحث الموضوع بجدية، فمن الأجدى إظهار ما هو مُفترض ضِمنيًا.

القول بأنها مألوفة وشائعة لا يعني القول بأنه يجب أن تُتبنى بلا فحص نقدي، هذا أبعد ما يكون عن الصواب. عندما تُفكرين بهذه الافتراضات، ستجدينها مُفاجئة من عدة نواحٍ، وبالتالي مُثيرة للاهتمام، إلى درجة أنها مقبولة على جميع الأصعدة التجريبية.

أوَّل هذه الافتراضات هو وجود مَلكة لُغوية، بمعنى أن ثمّة جزء ما في الذهن ـ الدماغ مُخصص للمعرفة واستعمال اللغة. هذه وظيفة محددة للجسم، هي أشبه ما تكون بعضو لغوي، مُماثل تقريبًا للجهاز البصري الذي هو أيضًا مخصص لمهمة مُعينة. الآن، هذا افتراض، لكن هناك أدلة معقولة على صحته.

توجد فضلًا عن ذلك أدلّة معقولة تدلّ على أنّها بالفعل خاصية بشرية بمعنيين. أولًا، يبدو بأن ثمّة اختلافات لغوية قليلة جدًا على نطاق فصيلة الإنسان، بصرف النظر عن الحالات المرضية الجادة. على نِطاق شديد الاتساع، تبدو الخصائص الأساسية للمَلكة اللغوية قريبة إلى حد التطابق. وهي من هذه الناحية لا تختلف عن الجهاز البصري. لكن من جانب آخر، هي تختلف عن الجهاز البصري البشري من حيث أنها خاصية بشرية: أي أنها تبدو مقتصرة على فصيلة الإنسان[1]. تحديدًا، تظهر على أنها خاصة بالنوع البشري. لا يبدو بأن ثمّة شيئًا مُطابقًا (أي: من الناحية الأحيائية) أو حتى مماثلًا ـ وهي خصيصة أضعف ـ مع أنواع قريبة أخرى[*].

(1) للاطِّلاع على التشابهات والاختلافات بين الجهاز البصري الإنساني والمَلكة اللغويّة انظر: (Chomsky 1980, chapter 6; 1988, chapter 5) من بين أعمال أخرى.

(*) في علم الأحياء، هناك فرق بين التراكيب المتطابقة (homologous structures) والتراكيب المتماثلة (analogous structures) من حيث مصدر وجه التشابه بين الصفات البيولوجية، فمصدر التشابه في الأولى وراثي، في حين أن مصدر التشابه في الثانية متعلق بتاريخ تطور التراكيب ذاتها.

إذا أردتم وأردتنّ العثور على خصائص مشابهة لخصائص المَلكة اللُغوية في عالم الحيوان يُمكنكم أن تجدوا بعضًا منها، وإن كانت في حقيقة الأمر مختلفة أشد الاختلاف؛ لكن المثير للاهتمام هو أن أكثر نُظم التواصل الحيواني تشابهًا مع لغة الإنسان توجد في الحشرات أو في الطيور حيث لا وجود لأصل تطوري مشترك على الإطلاق. لكن إذا نظرت إلى الكائنات الحيّة التي يربطها مع الإنسان أصل تطوري مُشترك ـ الرئيسات على سبيل المثال ـ فإنك ببساطة لن تجد أيّ تشابهات مُثيرة للاهتمام، مما يعني أن المَلكة اللغوية تبدو معزولة أحيائيًا بطريقة غير متوقعة ومُثيرة للفضول.

بوسعنا أن نفسّر ذلك من خلال حكاية مُتخيّلة، فنقول: منذ زمن بعيد، كان هناك حيوان من فصيلة الرئيسات العليا يتجول هائمًا على وجهه فحدثت طفرة عشوائية من نوعٍ ما ـ ربما حدثت بعد وابل من أشعة كونية ـ وأعادت تلك الطفرة تنظيم دماغه، زارعةً بذلك العضو اللُغوي في دماغ هذا الحيوان الرئيسي. هذه حكاية، ويجب ألّا تفهم حرفيًا. لكنها قد تكون أقرب للحقيقة من حكايات مُتخيّلة أخرى تُحكى عن العمليات التطوريّة، ومن ضمنها اللغة.

لنفترض بأن هناك مَلكة لُغوية، وأن هذه المَلكة اللغوية تشتمل على الأقل على نسق معرفي واحد، أي: نسق يخزن المعلومات. لا بدّ أيضًا من وجود أنساق (=أنظمة) أخرى لديها القدرة على الوصول إلى هذه المعلومات: الأنساق الأدائية (=أنساق الإنجاز). الآن، ثمّة سؤالٌ واقعي يطلُّ برأسه: إلى أي حد تعتبر هذه الأنساق التي بمقدورها أن تتحصل على المعلومات المُخزّنة في المَلكة اللغوية جزءًا من المَلكة اللُغوية؟ بمعنى آخر، إلى أي حد يُمكن اعتبار الأنساق الأدائية ذاتها مُختصّة

باللغة؟ خذ على سبيل المثال الأنساق الحسيّة الحركيّة، أي الأنساق النُطقيّة ـ الإدراكيّة التي تتحصّل على المعلومات المُقدّمة لها من المَلكة اللُغوية. هل يُمكن اعتبار هذه الأنساق ذاتها جزءًا من ملكة اللغة؟ هل هي ذاتها مُختصّة باللغة؟ هذا غير معلوم في الحقيقة. الافتراض في الغالب هو أنها مُختصّة باللغة إلى حد ما، وإلى حد ما هي ليست كذلك. هذا سؤال بحثي، صعب حتى على مستوى العمليات الحسية الحركية، وهناك بالتأكيد عمليات أكثر غموضًا. إلى حدٍّ ما على الأقل، تبدو الأنساق الأدائية جزءًا من المَلكة اللُغوية.

هناك سؤال واقعي آخر حول الأنساق الأدائية ويتعلق بمدى عُرضتها للتغيّر. هل هي ثابتة وغير متغيرة؟ أم أنها ذاتها عُرضة للنمو؟ ثمّة الكثير مما يُمكن قوله حول جهاز اكتساب اللغة، لكن لاحظوا أن ما يُمكن قوله هنا متعلّقٌ بالنسق المعرفي للمَلكة اللُغوية. هذا نسق يتعرّض للتغيّر بكل تأكيد. المعلومات المُخزنة في المَلكة اللُغوية تتغيّر أيضًا طوال الحياة؛ فمُتحدث الهندية ليس هو متحدث الإنكليزية، لذا فثمّة شيءٌ ما قد تغير من حالة مُشتركة. هل تغيرت الأنساق الأدائية؟ لا أحد يعلم الكثير حول ذلك، مع أنها أسئلة صعبة وهامة عندما يفحص أحدهم الموضوع عن كثب. عادة ما يتبنّى البحث اللساني الفعلي الافتراض الضمني المُبسط والذي مفاده هو أن هذه الأمور لا تؤثر بدراسة اللغة البشرية أو دراسة لُغات بعينها. سيكون هذا غريبًا للغاية فيما لو صح؛ لذا فهو خاطئ على الأغلب. إنّه افتراض مبنيّ على جهل؛ لا نعلم بأنه خاطئ. عندما لا تعرف شيئًا عن موضوع ما، ستفترض أبسط الافتراضات. أبسط الافتراضات تقول بأن ذلك صحيح على الرغم من أنه لا يُمكننا التأكد منه. قد نكتشف عاجلًا أو آجلًا أن نمو الأنساق الأدائية يجب أن يندمج بشكل أكبر في

دراسة النسق المعرفي للمَلكة اللُغوية، لكن لا نستطيع معرفة ذلك حتى هذه اللحظة، لذا لنضعه جانبًا.

لنركّز انتباهنا الآن على ما يُمكننا النظر فيه، أي: النسق المعرفي للمَلكة اللُغوية الذي من المؤكد بأنه يغير من حالته. حالته المُشتركة المُحددة وراثيًا لا تُطابق الحالات التي يتخذها في ظروف مختلفة. إمّا بسبب عمليات إنضاجية داخلية، أو بسبب معطيات الواقع الخارجي طبعًا. هذا ما نُسميه: «اكتساب اللُغة». يُسمى أيضًا: «التعلُّم»، لكن هذا مصطلح مُضلل أشد التضليل؛ لأنها تبدو كأنها عمليّات نمو أكثر من كونها ما نُسميه بحق «تعلّم». تضع طفلًا في بيئة حيث المحفِّز المناسب متوفر فإذا باكتساب اللُغة شيء يحدث له. الطفل لا يفعل أيّ شيء، فالأمر أشبه بعمليّة النمو إذا توّفر لك الطعام. لذا تبدو كأنها عملية نمو، وتشابه بالأحرى الجهاز البصري الذي بمقدروه أيضًا اتخاذ حالات مُختلفة اعتمادًا على التجربة.

بوسعنا أن نكون واثقين جدًا من أن الحالات المختلفة التي تتخذها المَلكة اللُغوية تختلف فيما بينها بشكل سطحي فقط، وأن كل واحدة منها تحددها المَلكة اللُغوية المُشتركة. السبب خلف هذا الاعتقاد مباشر وفي غاية الوضوح. ببساطة، تجربة الطفل ذات العلاقة بالبيْئة اللغوية محدودة جدًا. يُمكننا أن نتحقق من التجربة المتاحة، يمكننا النظر فيها ورؤية ما هي. سرعان ما سيبدو واضحًا مباشرةً بأنها محدودة للغاية، ومتجزّئة بحيث لا يُمكنها فعل أي شيء عدا تشكيل شكل موجود قبلًا على نحو محدود[1].

---

(1) حجة شح المعطيات. انظر: (1980) Palmarini ـ Piattelli لنقاش مطوّل حول الموضوع. انظر: (Chomsky (1986, chapter 1 انظر كذلك في: (1991) Wexler لنقاش حول مركزية هذه الحجة في أعمال تشومسكي.

بالمناسبة، الطريف في الأمر هو أن هذه النتيجة تُعتبر خلافيّة جدًا في موضوع المَلكات الذهنية، في حين أن النتيجة نفسها تعتبر واضحة وبديهية في كلّ عمليات النمو الأخرى. خذ أي عملية نمو أخرى، مثلًا حقيقة نمو ذراعين للجنين بدلًا من جناحين، أو خذ مثالًا لفترة ما بعد الولادة : كحقيقة أن الناس تصل إلى سن البلوغ في سنٍ معينة. لو أن أحدًا زعم بأن السبب في ذلك يكمن في معطيات الواقع الخارجي، سيسخر الجميع منه. فمثلًا، لو أن أحدًا زعم أن الطفل يصل فترة البلوغ بسبب ـ مثلًا ـ ضغط أقرانه عليه («الآخرون يفعلون ذلك؛ لذا سأفعل ذلك أنا أيضًا»)، فإن مثل هذا الزعم سيكون مثيرًا للسخرية. لكنه ليس أسخف من الزعم بأن نمو اللغة ناتج معطيات التجربة.

في الحقيقة، الأمر أقلّ سخافة إذا نظرنا إليه من ناحية معينة. لا يُعرف الكثير حول ما يدفع كائنًا حيًا إلى أن ينمو له ـ مثلًا ـ ذراعان أو جناحان، أو أن يصل إلى فترة البلوغ عند سن مُعيّنة، أو ـ أهم من ذلك كلّه ـ أن يموت عند سن معينة (تقريبًا). كل هذه خصائص مُحددة وراثيًا، لكنها ليست مفهومة تمامًا. لكن دائمًا ما يُفترض بأنها مُحددة وراثيًا، وكل البحوث في علم الأحياء تأخذ هذا كمُسلَّمة، لسبب معقول جدًا: إذا نظرت في الشروط البيئية التي يتحقق فيها النمو، فإنه ببساطة لا توجد معلومات كافية لتوجيه عملية مُحددة للغاية ومنظمة بدقة. لذا تفترض ـ بعيدًا عن التفسيرات الخرافية ـ أن ذلك موجَّه توجيهًا داخليًا.

نفس الحجة تنطبق على المَلكات الذهنية. حقيقة أن هناك أشخاصًا لا يقبلون هذه الحجة، تعود إلى ترسبات لشكل لا عقلاني ما لثنائية الذهن والجسد التي يجب أن تُتجاوز. بالنسبة إلى اللغة في واقع الأمر، نحن نعرف على الأقل شيئًا ما عن خصائصِ الحالةِ الذهنيةِ. لذا، بمعنى ما،

موقفنا هنا أفضل من ذلك المرتبط بالذراعين والجناحين والبلوغ وما إلى ذلك. هذه هي مجموعة الافتراضات الأساسيّة

يُمكننا أن نعتبر اللُغة ليست أكثر من حالة للمَلكة اللُغوية. هذا أقرب شيء ممكن لمفهوم يُقدِّمه لك البحث النظري في اللُغة، لمفهوم اللُغة البَديهي[1]. لذا لنعتبر لُغة ما (الهندية أو الإنكليزية أو السواحلية مثلًا) حالة محددة حققتها المَلكة اللُغويّة. والقول بأن فلانًا يعرف لغة ما، أو عنده لُغة ما، يعني ببساطة القول إن مَلكته اللُغوية في تلك الحالة. تُقدِّم اللُغة ـ بهذا المعنى ـ تعليمات إلى الأنساق الأدائيّة.

السؤال التالي هو: كيف تفعل مَلَكَة اللغة ذلك؟ هناك افتراضٌ آخر يطلُّ برأسه: تفعل ذلك من خلال ما يُسمى بـ «التعابير اللغويّة (= الجُمل)». كل تعبير لغوي هو عبارة عن مجموعة من الخصائص. لو عبَّرنا عن ذلك بمفرداتٍ تخصصية نقول: إن اللُغة تولّد مجموعة لا متناهية من التعابير. لهذا السبب نُطلق على النظرية اللغوية: «النحو التوليدي»[2]. الافتراض المتعارف عليه هو أن الأنساق الأدائية تُصنّف إلى صنفين اثنين فقط ومن شأن كلّ منهما التحصّل على نوعين مختلفين من المعلومات: وهما، على وجه التقريب، الصوت والمعنى. لديك تمثيلات معينة للصوت،

(1) انظر: النقاش حول اللغة الداخلية واللغة الخارجية في Chomsky (1986a)، وكذلك Chomsky (1991).

(2) المقطع التالي تقرير أكثر تفصيلًا لمفهوم «توليد» في النحو التوليدي، حيث «الأوصاف البنيوية» هي بشكل جوهري ما يُسمِّيه تشومسكي «تعابير» في المحاضرة:

يولِّد النحو الجملَ التي يصفها وأوصافها البنيوية، يقال: بأن النحو «يولِّد بشكل ضعيف» جمل لغة ما و«يولِّد بشكل قوي» الأوصاف البنيوية لهذه الجمل. عندما نتحدث عن النحو اللغوي بوصفه «نحوًا توليديًا»؛ فإننا نعني فحسب بأنه كافٍ لتحديد كيف يصف النحو الجمل حقًا في اللغة. «Chomsky 1980: 220».

وتمثيلات معينة للمعنى. يعود أصل هذا الافتراض إلى آلاف السنين، وعلينا الآن أن نجعله أكثر وضوحًا. تتحصّل الأنساق الحسيّة ـ الحركيّة على تمثيلات الصوت، في حين تستخدم تمثيلات المعنى (يجب علينا توضيح ما نعنيه بذلك) المعلومات والتعابير للحديث عن العالم، ولطرح الأسئلة، وللتعبير عن الأفكار والمشاعر، إلخ.

يُمكن تسمية الأنساق التي تتحصّل على تمثيلات المعنى الأنساق «التصوريّة ـ القصدية»، حيث المقصود بالـ «قصدية» هو المصطلح الفلسفي التقليدي لهذه العلاقة الغامضة للـ «عنيّة»: أشياء عن شيء ما. لذا فإن الأنساق التصوريّة ـ القصديّة ـ التي غالبًا ما تكون غامضة ـ هي أنساق تتحصّل على جوانب تعبيريّة مُعيّنة تُمكّنك من فعل ما تفعله باللغة: التعبير عن أفكارك، أو التحدّث عن العالم، أو أيًا كان ذلك.

الآن، الافتراض المتعلق بوجود نسقيّ تحصيل اثنين لا غير، نسقين أدائيين، هو ـ مجددًا ـ مفاجئ. أُفترض ذلك من دون مُساءلة فاحصة منذ بدايات دراسة اللغة قبل آلاف السنين، عادة [ما يُفترض ذلك] ضمنيًا بلا نظر مُدقق. لكن إذا أردتم بحث الموضوع بجدية، فعليكم أن تجلبوه إلى السطح، وعندما تفعلون ذلك، ستلاحظون بأنه افتراضٌ في غاية الغرابة. بل نحن نعرف، في حقيقة الأمر، أنه افتراض خاطئ. إستنادًا إلى حقيقة وجود لغة الإشارة، نحن نعلم أن بمقدور أنساقٍ أخرى غير الأنساق النطقيّة ـ الإدراكيّة التحصّل على معلومات المَلكة اللُغوية. لذا لا يُمكن أن يكون [هذا الافتراض] صحيحًا حقًا بالمعنى الذي يُفترض به في العادة. لكن ـ مجددًا ـ يُفترض بأنه صحيح؛ لأننا لا نعلم في واقع الأمر بأنه افتراضٌ خاطئ على نحو قاطع ولهذا سأواصل تبنّيه هنا.

إذن، هناك أنساق حسيّة - حركيّة تصل إلى جانب واحد من التعبير اللغوي، وهناك أنساق تصوريّة - قصديّة تصل إلى الجانب الآخر منه، وهناك أنساق تصورية - قصدية تصل إلى جانب آخر من جوانب التعبير، مما يعني أن التعبير اللغوي [الجملة] يجب أن يمتلك نوعين من الكينونات الرمزية كأجزاء منه. يُمكن اعتبار هذه الكينونات كشيء قريب من الوَجيهة [نقطة التقاء] بين المَلكة اللُغويّة والأنساق الأخرى للذهن - الدماغ. حتى الآن، وصلنا إلى افتراضات تجريبية بعيدة المدى عن بُنيان الذهن، لكن تبدو مقبولة وذات أساس جيد للمتابعة.

مع توفر خلفيّة تأسيسيّة كهذه، فسيكون لديك أُسس لبرنامج يتّصف بالبحث التجريبي الجاد: برنامج يحاول اكتشاف مبادئ العضو اللُغويّ والبِنى المتعلقة به، والتعرّف على نوع الحالات التي يُمكنه تحقيقها (أي، اللغات المعينة)، وعلى ماهيّة التعابير التي تولّدها اللغة، وكيفية تحصّل الأنساق الأدائية المختلفة على تلك التعابير.

هذه كلها أجزاء فرعية من حقل أعم للبحث التجريبي، أجزاء جديدة فُتحت ليُبحث فيها بطرق جديدة في الأربعين أو الخمسين سنة الماضية. ثمّة أجزاء نعرف عنها شيئًا، وأجزاء أخرى لا نعرفها عنها أي شيء. أعتقد بأن الدراسة نفسها أشبه ما تكون بدراسة الجهاز البصري، حيث يُمكن أن تُطرح بشأنه أسئلة مشابهة. وعلى ذكر هذا الموضوع، يُمكنك أن تقول بأنها أشبه ما تكون بالكيمياء التي تحاول التعرّف على ماهيّة المكونات الأساسية لعالم الطبيعة، وعلى هوية البِنى والمبادئ المُهيمنة، إلخ. إنّ الدراسة بهذا الوصف تُمثّل شكلًا لفرع مألوف من العلوم الطبيعية. هذا غير اعتيادي؛ لأنه صادف أن يكون حول مَلَكات الإنسان الذهنية التي هي في جزء كبير منها تقع في ما وراء الدراسة الجادة. في في حين أنّ هذه

تحديدًا وبشكل غريب لا تبدو وراء هذا المستوى، وهنا يكمن جانب من جاذبيتها.

عند هذه النقطة، تطل أسئلة أساسية برأسها حول المشروع البحثي بأكمله، أسئلة عن ـ أتحدث بشكل تقريبي ـ كيفية تعلق اللغة بجوانب أخرى من العالم. هذا جانب واحد من العالم، العضو اللُغوي: كيف يتعلَّق بجوانب العالم الأخرى؟.

الآن، هذه الأسئلة متجذِّرة بعمق غائر في التراث الفكري الغربي على الأقل (سأقتصر عليه؛ لأنه يقع ضمن حدود معرفتي). هذه أيضًا مواضيع حيَّة في الفلسفة المعاصرة. وتتخذ عادة صياغة من صياغتين: تتخذ إحداهما صيغة السؤال التالي: (ما يُسمى على نحو تقريبي سؤال المادية أو المذهب الفيزيائي المادي أو مشكلة الذهن ـ الجسد أو أيًا كان) كيف يُمكن لخصائص المَلكة اللُغوية أن تتحقق في العالم المادي؟ الصياغة الثانية التي تتخذها تأتي على شكل سؤال يُسمى عادة سؤال التمثّيل أو القصديّة («العنّية»): سؤال كيف تمثِّل الجمل الواقع، كيف تحيل الكلمات إلى الأشياء. هذا هو الجانب الثاني من سؤال العلاقة بين اللغة والعالم.

الآن، برأيي، لقد أُسيء فهم كلا السؤالين من الأساس، ووجدت إساءة الفهم تلك منذ وقتٍ طويل. ثمَّة الكثير ليقال حولها، مما له علاقة بفلسفة العقل المعاصرة والأفكار التراثية كذلك. لست أعتقد بوجود أي سؤال معقول ومتماسك حول مشكلة الذهن ـ الجسد، لست أعتقد بوجود سؤال كهذا منذ زمن نيوتن على الأقل. أمّا سؤال التمثيل فمبني على مقارنة خاطئة، كما أظن[1]. على أي حال، سأعود لهذا إذا أردتم

(1) انظر: (Chomsky 1993a, 1994, 1995c, 1999) لنقاش قريب زمنيًا لهذه المواضيع.

ذلك. سأضعه جانبًا الآن مكتفيًا بالقول إن هذا هو نوع إطار العمل الذي تقع ضمن حدوده الكثير من البحوث في التراث الفكري.

دعوني أعود ـ لضيق الوقت ـ إلى السؤال الأدق للبحث في العضو اللغوي. خذوا هذه الافتراضات التي ذكرتها. قبل ما يقارب الأربعين عامًا، في بدايات النحو التوليدي الحديث، بدأ فحص استشكالات داخل هذا النطاق بطريقة أكثر جدية مما كان ممكنًا في الماضي، ويعود السبب في ذلك جزئيًا إلى تطورات العلوم الصورية. ثمَّة خصيصة لغوية هامة فُهمت بشكل بديهي لزمن طويل. في إحدى الصياغات الكلاسيكية لها، قيل بأن اللغة تتضمن استعمالًا لا محدودًا لوسائل محدودة، بمعنى، أن الذهن محدود بشكل واضح، لكن هناك عددًا لا محدودًا من التعابير في مقدور الشخص إتقانها واستعمالها.

هذه حقائق واضحة والسؤال هو : كيف يُمكن أن يكون لديك استعمالٌ لا محدود لوسائل محدودة؟ لم يكن هناك حقًا إجابة عامة وواضحة لهذا السؤال حتى بداية هذا القرن. عند منتصف القرن، قادت نظرية التحسيب وإنجازات مختلفة أخرى إلى إجابة في غاية الدقة عن بعض جوانب السؤال على الأقل.

سمح هذا بالرجوع إلى الأسئلة القديمة وإعادة صقلها بشكل يُمكِّنك من محاولة الإجابة عنها. لقد كان الأمر أشبه ما يكون بالتقاء القضايا التراثية لدراسة اللغة مع التطورات الجديدة في العلوم الصوريَّة، الأمر الذي أدى إلى توضيح الأفكار الأساسية. أتاح اجتماع هذين الأمرين إمكانية تدشين ميدان النحو التوليدي.

وسرعان ما أصبح واضحًا بأن هناك إشكالية كبيرة. لم يكد يبدأ البحث

في النحو التوليدي حتى ظهر تصادم بين نوعين من المتطلبات التجريبية. سُمّي أحد هذين المُتطلبين بـ «الكفاية الوصفية»: أن تُقدم وصفًا دقيقًا لظاهرة اللغة الإنكليزية أو الهندية أو غيرهما. بمجرّد ما بدأ البحث الجاد، بدا من الواضح تلقائيًا بأن كُتب القواعد والقواميس الشاملة والمُفصلة ـ قاموس أكسفورد الإنكليزي وكتاب من عشرة مجلدات لقواعد اللغة الإنكليزية... إلخ ـ لا تلامس إلا السطح[1]. كل ما فعلته هو إضافة إشارات تُمكِّن الشخص الذكي بطريقة ما من الحصول على معلومات حول اللغة، كان الاعتقاد هو أن تلك الكتب والقواميس تقدّم وصفًا للغة، لكنها لم تكن كذلك مطلقًا: كانت سطحية للغاية. ما إنْ بُذل جهد لتقديم صيغة دقيقة لجوهر خصائص التعابير، سرعان ما أُكتشف أن الكثير ـ حتى بالنسبة إلى بِنى في غاية البساطة في أفضل اللغات التي تمت دراستها ـ ما زال مجهولًا ببساطة، ولم يكن ذلك ملحوظًا أيضًا.

من أجل محاولة التعامل مع تلك المشكلة بدا من الضروري افتراض وجود آليات في غاية التعقيد إلى جانب مزيج من التراكيب النحوية، ولكلّ منها خصائصها المختلفة داخل اللغة وبالتأكيد عبر اللغات كذلك. لقد كان الدليل التجريبي على ذلك غامرًا، لكن كان من الواضح أيضًا أن الاستنتاج لا يُمكن أن يكون صحيحًا.

لا يُمكن أن يكون الاستنتاج صحيحًا بسبب النوع الثاني من الشرط

---

(1) النقاط التالية من ضمن عدة ظواهر تركيبية (نحوية) تتجاهلها مثل هذه الأنحاء [جمع نحو]: تراكيب تُفهم على أن لها أكثر من تأويل واحد: «يُمكن أن تكون الطائرات الطائرة خطرة» «Flying planes can be dangerous»، «لي كتاب سُرق» «I had a book Stolen»،... إلخ. تراكيب يبدو أن لها نفس البنية، لكن في الحقيقة هي ليست كذلك، بما أنها فهمت على نحو مختلف.

استدرجت جون إلى المغادرة/ أتوقع أن جون سيغادر

I persuaded John to leave/I expected John to leave

التجريبي الذي عُرف بـ «شرطة الكفاية التفسيرية»: مشكلة تفسير اكتساب اللغة[1]. إذا كانت اللغة بذلك التعقيد والتفاوت والمعلومات المتاحة لمتعلم اللغة شحيحة للغاية (بالطبع، لا يتكيّف الناس وراثيًا مع لغة محددة دون غيرها من اللغات)، فإن اكتساب اللغة يصبح معجزة، لكنه ليس بمعجزة، إذْ لا يعدو أن يكون مجرد عملية طبيعية وعضوية. لهذا فإن الاستنتاج المذكور عن تفاوت وتعقيد اللغة لا يمكن أن يكون صحيحًا حتى وإن كانت النتائج تدفعك نحو ذلك الاتجاه. بعبارة أخرى، يجب أن

=

زمجرة الأسد/ رعاية الزهور/ طلق الصيادين (مُلتبسة)

يسهل إرضاء زيد/ يحرص زيد على إرضاءه

John is easy to please/John is eager to please

(جـ): جُمل تحتمل أن يكون لها علاقة مع بعضها من خلال إعادة الصياغة، لكن ليس لها نفس البنية:

أتوقع أن مختصًا سيفحص زيد/ I expected a specialist to examine John.

أتوقع أن زيدًا سيفحصه مُختص/ I expected John to be examined by a specialist.

(د): الاختلاف في وضع الجمل النحوي، مثل الجمل التالية (كمثال لما أصبح يُعرف باسم: «لا تناظر الفاعل والمفعول»):

* Who does he think that Mary Saw

Who does he think Mary Saw

* Who does he think that came

Who does he think came

(هـ): تأويلات لعناصر مفهومة في تراكيب كالتالية:

استدرج زيد ماريا إلى الذهاب/ John persuaded Mary to go

وعد زيد ماريا بالذهاب/ John promised Mary to go

أوقفت الشرطة الشرب/ The Police Stopped Drinking

انظر: (Chomsky) (1957, 1965) من بين أعمال أخرى. فيما يخص خصائص الوحدات المعجمية المعقدة والهامة التي تجاهلتها القواميس المعيارية، انظر: (Chomsky 1988 (1993a, 1996.

(1) (انظر: Chomsky (1965, Chapter 1 لنقاش كلاسيكي حول الكفاية الوصفية والكفاية التفسيرية.

تكون اللغات بطريقة ما بسيطة جدًا وتشبه بعضها بعضًا، وإلا لما كان في مقدورك اكتساب أي واحدة منها. على الرغم من ذلك، إذا أمعنت النظر فيها، ستكتشف بأنها معقدة جدًا، وفي غاية التفاوت وكل منها تختلف عن الأخرى.

يبدو ذلك تناقضًا صارخًا. هو على الأقل توتر جدِّي، ومنذ 1960م تقريبًا، كانت القضية الجوهرية في هذا الميدان هي محاولة حلّ هذا التوتر بطريقة أو بأخرى. لن أعرض التاريخ، لكن المقاربة العامة ـ بدايةً من مطلع الستينيات ـ كانت المقاربة الطبيعية: محاولة تجريد مبادئ وخصائص عامة للأنظمة القواعدية، واعتبارها ـ خصائص المَلَكة اللغوية نفسها (بعبارة أخرى، اللغة بما هي كذلك) ومحاولة إظهار أنك عندما تفعل ذلك؛ فإن ما تبقى ـ ما بقي عندما تفعل ذلك ـ أقل تعقيدًا وتفاوتًا مما يبدو. وُجدت عدة محاولات لفعل ذلك منذ مطلع الستينيات، من في هذا المجال منكم ومنكن يعرف ما هي تلك المحاولات، لذا لن أتكبّد عناء الحديث عنها[1].

على أي حال، منذ عشرين عامًا تقريبًا، أُنجزت العديد من المحاولات وحققت تقدمًا كبيرًا. تلاقى الكثير من هذا الاشتغال حول عام 1980م في مقاربة تُسمى أحيانًا «مقاربة المبادئ والوسائط[*]» التي كانت ـ فجأة ـ

(1) مثلًا انظر: Chomsky (1982).

(*) من المفيد استحضار الفرق بين «النظرية» (النحو التوليدي) و«إطار العمل» (مقاربة المبادئ والوسائط) و«البرنامج» (البرنامج الأدنوي)، يفرّق محمد الرحالي بينهم على النحو التالي: «يختلف إطار العمل عن النظرية في أنه ليس نسقًا نظريًا دقيقًا، بل مقاربة خاصة لحل مشاكل أو ظواهر خاصة تقودها مجموعة محدودة من الأفكار الموجِّهة وتُعد مقاربة المبادئ والوسائط في النحو التوليدي مثالًا لذلك في محاولتها لحلّ مشكل فقر المنبّه [...] ويشترك =

ذات معنى. لقد كانت افتراقًا جذريًا عن آلاف السنين من البحث اللغوي. لقد كانت قطيعة مع التراث على نحو أشد من القطيعة التي أحدثها النحو التوليدي نفسه[1]. كان النحو التوليدي نفسه مختلفًا كثيرًا عن المقاربات البنيوية ـ السلوكية السائدة آنذاك، لكن كان له مذاق النحو التقليدي إلى حدٍ بعيد، بدا كنسخة منقَّحة ومتقدمة من النحو التقليدي من عدة جوانب.

على الجانب الآخر، كانت مقاربة المبادئ والوسائط مختلفة بالكامل. فقد افترضت تلك المقاربة عدم وجود قواعد على الإطلاق، وعدم وجود تراكيب نحوية من الأساس. إذن، لا وجود لشيء اسمه قواعد لتكوين جمل الصلة في اللغة اليابانية أو قواعد المركب الفعلي في اللغة الألمانية، إلخ. هذه الأشياء حقيقية لكن كتصنيفات موضوعة، بالمعنى الذي تكون فيه، مثلًا، الحيوانات البرية حقيقية. هي ليست مقولة أحيائية، بل مجرد مقولة تصنيفية. يبدو وكأن القواعد والتراكيب النحوية ـ الخصائص الجوهرية للنحو التقليدي والتي وجدت لها مكانًا في النحو التوليدي ـ تصنيفات موضوعة بالمعنى نفسه.

يبدو بأن كل ما هنالك هو مجرّد مجموعة قليلة من المبادئ العامة التي هي بمنزلة خصائص للمَلَكة اللغوية من حيث هي لغة، إلى جانب مجموعة أخرى من الخيارات الطفيفة والمتعلقة بالاختلاف بين اللغات

= البرنامج مع إطار العمل في [ذلك] [...] لكنه يختلف عنه في شيئين: (أ) عمق وترابط وتعقيد القضايا المُراد حلّها في إطار البرنامج و(ب) استقلاله عن نظرية خاصة أو مقاربة خاصة لمعالجة الظواهر؛ إنه كما يدلّ عليه اسمه مخطط عمل أو دليل بحث عام يتفحص ويعالج أسئلة عابرة للنظريات المتنافسة في حل ظاهرة معيّنة» انظر: تشومسكي، نعوم. ت: محمد الرحالي. اللسانيات التوليدية: من التفسير إلى ما وراء التفسير. بيروت: دار الكتاب الجديد، 2013: ص 12 ـ 13.

(1) انظر: Chomsky (1991) لمقطع بارع الإيجاز حول هذه النقطة.

تسمى «الوسائط». تشترك كل اللغات بتراكيبها المختلفة في المبادئ نفسها؛ إذن لا وجود لأي مبادئ مُميّزة للأسماء الموصولة أو أي تراكيب أخرى. في المقابل، يبدو بأن للتغيّرات الوسيطة مساحة محدودة، وذلك يعني فيما لو صحّ بأن هناك عددًا محدودًا من اللغات المحتملة التي تخضع لهذه التغيّرات. فضلًا عن ذلك، تبدو هذه التغيّرات مقتصرة على أجزاء معينة ومحدودة من اللغة: بعض أجزاء المُعجم اللغوي وجوانب ثانوية محددة للوجيهة الحسيّة الحركيّة. يحدونا الأمل في قدرتنا على إثبات سهولة اكتشاف هذه الأشياء من خلال معطيات التجربة.

الآن مقاربة المبادئ والوسائط هذه ليست نظرية محددة، إنها أشبه ما تكون بإطار عملٍ نظري، هي طريقة تفكيرٍ حول اللغة، والأولى على الإطلاق التي لها على الأقل السِمة العامة الصحيحة، أي أنها تقدّم طريقة في تجاوز التوتّر بين الكفاية التفسيريّة والكفاية الوصفيّة. سيكون بمقدورها تجاوز هذا التوتّر إذا استطاعت إظهار أن المبادئ المشتركة كافية لاستخلاص السِمة العامة للغة، وأما التباينات السطحية الظاهرة فليست إلا تثبيتًا لهذه الوسائط بطريقة أو بأخرى ضمن نطاق محدود.

إنّ الأمر يبدو كما لو أن الطفل يتعامل مع مشكلة اكتساب اللغة وفي يده استبيان كُتب فيه: «هناك س من الأسئلة أحتاج الإجابة عنها» ويُمكن الإجابة عن كل سؤالٍ من هذه الأسئلة بناءً على معطيات بسيطة جدًا. عندما أُدخل الإجابات وأستعمل المبادئ ـ التي تعكس جزءًا من طبيعتي ـ تخرج اللغة اليابانية، إنّ الأمر أشبه بشيء قريب من هذا[1]. قد

(1) عادةً ما يستعمل تشومسكي استعارة في غاية الوضوح للتعبير عن نفس الفكرة:
يُمكننا أن نرى الحالة الأولى للمَلَكة اللغوية على أنها شبكة ثابتة متصلة بصندوق مفاتيح كهربائي: تتكون الشبكة من مبادئ اللغة، بينما المفاتيح الكهربائية هي الخيارات التي تحددها التجربة. عندما توضع المفاتيح بطريقة معينة؛ فسنحصل على لغة البانتو، وعندما توضع =

يبدو على السطح كما لو أن اللغات تختلف اختلافًا جذريًا عن بعضها، لكن هذا يعود إلى عدم معرفتك بالمبادئ. عندما تكتشف المبادئ، سترى أنها متماثلة إلى حد بعيد في الحقيقة، وأن الاختلافات بينها سطحية إلى حد بعيد.

كانت تلك هي الصورّة التقريبية التي انبثقت عمّا تقدّم ذكره. لقد قادت إلى انفجار بحثي حقيقي، وإلى تنامٍ عظيم في كمّ البحوث الوصفية والنظرية. كما أنها تتضمّن إلى غاية هذه اللحظة عددًا كبيرًا من اللغات المتباينة نمطيًا. عليّ أن أقول إنّ الصورة بمجملها في تغيّر مستمر، لكن لكن لا أعتقد بوجود فترة مماثلة كهذه في تاريخ دراسة اللغة بحيث أصبحنا نعرف الكثير حول هذه المَلَكَة الإنسانية.

ولقد أصبح من الممكن كذلك طرح أسئلة جديدة وأشدّ ترسيخًا ـ بمعنى ما ـ حول طبيعة اللغة. هنا يأتي موضوع الاشتغال على البرنامج الأدنوي. النقطة الجوهرية هي أنه أصبح لدينا الآن ـ للمرة الاولى على الإطلاق ـ فكرة متماسكة إلى حد ما حول ماهية اللغة[1]. ومن ثم يمكنك طرح أسئلة معينة وغير مسبوقة.

أحد الأسئلة التي يمكن طرحها: إلى أي مدى يقف الدليل التجريبي خلف ما نعزوه إلى المَلكة اللغوية من خصائص، وإلى أي مدى يُمكن اعتبار هذه الخصائص نتاجًا لنوع التقنيات العلمية التي نتبناها بهدف ردم

= بطريقة معينة؛ فسنحصل على لغة البانتو، وعندما توضع بطريقة أخرى؛ فسنحصل على اللغة اليابانية. تُميِّز كل لغة محددة باعتبارها وضعية محددة للمفاتيح الكهربائية... (Chomsky 1997, part 1, p. 6).

(1) انظر: على سبيل المثال النقاش الغير تخصصي في (1982) Chomsky حول أهمية إطار عمل المبادئ والوسائط، وكذلك الفصل 1 من (1995b) Chomsky لعرض أحدث زمنيًا.

الهُوّة في فهمنا وتقديم معلومات بشكل مفيد؟ الآن أسئلة كهذه دائمًا ما تكون ملائمة في ميدان العلم من حيث المبدأ. لكنها عادة لا تستحق الطرح أو لا تتم محاولة فحصها عن كثب أثناء التطبيق. ولا يعود السبب في ذلك إلا إلى أن الفهم محدود للغاية، هذا ينطبق حتى على العلوم الصِّرفة. إذا نظرت في تاريخها - الفيزياء، وحتى الرياضيات - في الفترة الغالبة على تاريخها حتى فترة قريبة، لم تُطرح فيها أسئلة من هذا النوع. مُعظم الرياضيات الكلاسيكية على سبيل المثال - حتى القرن التاسع عشر - كانت مبنية على ما عُرف بالافتراضات المتناقضة: لم يفهموا بشكل كافٍ لكي يحلُّوا التناقضات. لكنهم استمرّوا في تبني تلك الافتراضات فقط لأنها قادت إلى العديد من الاكتشافات والأفكار والتبصّرات الجديدة، إلخ. وينطبق الأمر نفسه على الفيزياء والكيمياء. فمع كون هذه الأسئلة ملائمة من حيث المبدأ، عادة ما تكون سابقة لأوانها.

أحد عناصر البرنامج الأدنوي هو التخمين الذي مفاده أن هذه الأسئلة تبدو ملائمة الآن من الناحية العملية، ويمكن بحثها في حقيقة الأمر بشكل فاعل؛ بمعنى آخر، من المعقول في هذه المرحلة أن نطرح سؤالًا عن أيّ تلك التقنيات الوصفية التي نستعملها تستمدّ مشروعيتها استنادًا إلى معطيات التجربة وما هي تلك التقنيات المتبقية والتي نستعملها بغرض ملء الصفحات بسبب قلّة فهمنا وحاجتنا لتقديم تفسير مفيد عن المعطيات. هذا سؤال له جواب. لا يبدو واضحًا ما إذا كان هذا هو الوقت المناسب لطرح سؤال كهذا، لكن السؤال له جواب من حيث المبدأ على الأقل.

البرنامج الأدنوي قائم أيضًا على سؤال أعمق لا جواب له حتى من حيث المبدأ، وقد يكون سابقًا لأوانه بشكل ميؤوس منه حتى لو له

جواب. هو سؤال يتصف بالدقة، ويُمكن صياغته على النحو التالي: إلى أي مدى يمكن اعتبار اللغة حلًا مناسبًا للتعامل مع الشروط الحدّية التي فرضها بنيان الذهن؟ العضو اللغوي مُدمج في نسق ذهني له بنيان معين: له علاقات وجيهيّة مع ذلك النسق. يتصل بها. الافتراض هو أن هناك وجيهتين سبق أن أشرت إليهما. تفرض هاتان الوجيهتان بعض الشروط حول ما الذي يجب أن يبدو عليه النسق. إلى أي حد تعتبر اللغة حلًا مناسبًا بالنسبة إلى الشروط المفروضة من قِبل هذين الافتراضين الخارجيين(*)

دعوني أعود إلى تلك الحكاية المتخيَّلة التي أشرت إليها في بداية المحاضرة عن أصل اللغة. لنتخيّل حيوانًا من فصيلة الرئيسات العليا يتجول في مكانٍ ما. يفتقر هذا الحيوان إلى عضو لغوي، لكن له شيئًا شبيهًا بدماغنا وبالأعضاء الأخرى، بما في ذلك أنساق حسية ـ حركية قريبة بما فيه الكفاية مما لدينا، وكذلك نسق تصوري ـ قصدي قريب بما فيه الكفاية مما لدينا بحيث يُمكنه التفكير حول العالم بشكل قريب مما نفعل، أو إلى الحد الذي يمكنه فعل ذلك من دون لغة. لكن ليس له لغة، ولا يمكنه الإفصاح عن هكذا أفكار، حتى لنفسه.

لنفترض بأن حدثًا عشوائيًا تسبب في تثبيت المَلكة اللغوية في ذلك الحيوان الرئيسي الأعلى، وهذه المَلكة اللغويّة قادرة على تقديم عدد لا محدود من التعابير التي يُمكن لأنساق الإنجاز الموجودة قبلًا أن تتحصّل عليها، كالأنساق الحسيّة الحركيّة والأنساق التصوريّة ـ القصديّة. لكي تكون قابلة للاستعمال، يجب أن تكون تعبيرات المَلكة اللغوية (بعضًا

(*) وردت كلمة «assumptions» بمعنى (افتراضان)، ولكن المقصود هو «interfaces» أي «الوجيهتان».

منها على الأقل) مقروءة من قِبل الأنساق الخارجية. إذن يجب أن يكون في مقدور النسق الحسيّ الحركي والنسق التصوري - القصدي أن يتحصّل كلّ منها، أي أن «يقرأ» كلّ منهما تلك التعابير، وإلا فإن الأنساق لن تعلم حتى بوجودها.

في الحقيقة، من الممكن تصور ذلك، فقد يبدو محتملًا من الناحية الواقعية، وإن كان بعيدًا جدًا وقوعه على الأغلب، أن ذلك الحيوان الرئيسي الأعلى - الغوريلا على سبيل المثال أو أيًا يكن - لديه في حقيقة الأمر شيء مماثل للمَلكة اللغوية الإنسانية بيد أنه لا يستطيع الوصول إليها. إذن - لسوء حظه - لم تتحقق شروط المقروئية. من الممكن تصوّر أن ما تغيّر في البشر هو أن المَلكة اللغوية حققت شروط المقروئية. مع ذلك، يمكننا أن نفترض بكل اطمئنان أن ذلك غير صحيح، وأن ما حدث في واقع الأمر هو أن المَلكة اللغوية كانت قابلة للاستعمال منذ نشأتها وتطورها، محققةً بذلك شروط المقروئية الخارجية المفروضة على حدود الوَجِيهة.

ثم يمكننا أن نسأل إلى أي حد هي تصميم مناسب؟ إلى أي حد قدمت قوانين الطبيعة حلًا أمثلًا لـ «مشكلة هندسية» معينة، أي: المشكلة الهندسية التي فرضتها شروط المقروئية على التعابير؟ هذا سؤال له معنى، يمكننا أن نجعله عينيًا بصورة مقبولة. لكن لا يوجد أي سبب لتوقع أي إجابة عنه، يُمكن أن تكون النتيجة هي أن اللغة حل في غاية السوء لتلك المشكلة، لن يكون ذلك مفاجئًا على الإطلاق. هذا غالبًا ما تكون عليه الأنظمة الأحيائية: حلول سيئة لمشاكل تصميمية معينة فرضتها الطبيعة، أفضل حل أمكن للتطوّر تحقيقه في حدود الظروف المتاحة، لكنه قد يكون حلًا مضطربًا وأخرقًا.

لنرى ما الذي يتضمنه ذلك. خذ أي جملة شئت، خذ مثالًا قديمًا لم يفهم بشكل واضح حتى الآن: «John had a book stolen» (لزيد كتاب قد سُرق). خذ هذه العبارة باللغة الإنكليزية، لها الكثير من الخصائص التجريبيّة، بما فيها عدة التباسات[1] محددة ومثيرة للفضول جدًا، ولا يوجد نظير لها في لغات مُشابهة، والسبب في ذلك غير مفهوم بدقة، لذلك هي مبتذلة ومعلقة منذ نحو ثلاثين عامًا. للجملة خصائص متعلقة بالصوت وأخرى متعلقة بالمعنى، كما لديها عدة التباسات، وترابطات الصوت ـ المعنى، وغيرها من الأمور. وبعيدًا عن ذلك، لها الكثير من الخصائص الأخرى. لها خصائص رتبة الاكتساب، وخصائص فقدان عدة تأويلات في حالة حدوث ضرر دماغي، والبلوغ الإدراكي، إلخ.

اصطلاحًا، اللغة التي تولّد التعبير هي بمنزلة حل لكل هذه الشروط التجريبيّة. البحث العقلي هو محاولة العثور على أفضل نظرية تحقق كل هذه الشروط التجريبية، هذه هي طبيعة اللعبة ليس إلا. إذا لم تلعب هذه اللعبة؛ فأنت لا تشتغل بالعلم. إذن ـ اصطلاحًا ـ اللغة حل لكل هذه الشروط التجريبية ونريد العثور على أفضل نظرية ممكنة لذلك الحل.

لكننا نطرح سؤالًا مختلفًا هنا. كل ما نفعله هو النظر في جزء فرعي من الشروط التجريبية، أي: شروط المقروئية، شروط القابلية للقراءة، شروط التحصّل على التعبير من قِبل الأنساق الخارجية. إذن ـ على

---

(1) الجملة ملتبسة بسبب الاحتمالات التالية لها:

(أ): سرق أحدهم كتاب زيد/ Someone stole John's book.

(ب): لزيد شخص سرق كتابًا/ John had someone steal a book.

(جـ): كاد زيد أن ينجح في سرقة كتاب/ John had almost succeeded in stealing a book.

انظر: Chomsky (1962: 22).

سبيل المثال ـ ستتطلب الأنساق الحسية الحركية أن يكون للتعبير ترتيبًا زمنيًا (الأنساق الحسية الحركية مبنية على نحو دقيق حتى يمكنها التعامل فحسب مع شيء يكون زمانيًا، هذه ليست ضرورة منطقية على الإطلاق). هي حقيقة حول أنساقنا الحسية الحركية أنها تتطلب أنواعًا محددة من الخصائص الصوتية والنماذج الإيقاعيّة، إلخ. في حال لم يمتلك تعبير ما هذه الأشياء، لن يكون في مقدور الجهاز الحسي الحركي «قراءته»، أو إدراكه، أو نطقه. أما الأنساق التصوريّة ـ القصدية، التي لا نعرف الكثير عنها، فمن الواضح أنها ستتطلّب أنواعًا محددة من المعلومات عن الكلمات والتركيبات، بالإضافة إلى نوعٍ محدد من العلاقات بينها، إلخ[1]. فضلًا عن ذلك، هناك أيضًا علاقات الصوت ـ المعنى، لكن هذه تتجاوز شروط المقروئية. فحقيقة أن لجملة «لزيد كتاب قد سُرق» عدّة التباسات

(1) الأنساق التصوريّة ـ القصديّة التي تتحصل على/ تقرأ مستوى التمثيل اللغوي الذي يُسمى: «صورة منطقية» (ص.م)، حيث يقال بأن هكذا معلومات متوفرة هناك. انظر: Chomsky (1991) حيث يسرد العناصر التالية التي يجب أن تحتويها تمثيلات (ص.م):

1 ـ المواضيع، التي هي مرؤوسة بسلاسل موضوعة ومختومة من خلال عنصر في موقع موضوع. الأخير موسوم محوريًا، بينما الأول موسوم إعرابيًا.

2 ـ المُلحقات، التي هي سلاسل غير محورية، مرؤوسة ومختومة من خلال عناصر في مواقع غير محورية.

3 ـ العناصر المعجمية، التي هي سلاسل مرؤوسة ومختومة من خلال عناصر في مواقع س0.

4 ـ المحمولات، التي هي سلاسل محمولة محتملة في حال صعود محمول، و نقل المُركب الفعلي في التركيب... إلخ.

5 ـ تراكيب سور ـ متغيّر، كل واحد منها يتكون من سلسة ثنائية (س 1، س 2)، حيث يوجد السور س 1 في موقع غير محوري، والمتغيّر س 2 في موقع موضوع.

هذه كيانات ص.م المشروعة. على نحو مماثل توجد كيانات ص.ص (الصورة الصوتية) المشروعة. يضمن [مبدأ] ت.ت (التأويل التام) أن الكيانات المشروعة هي التي ترد فقط في المستويات الوجيهية ص.ص وص.م.

انظر أيضًا: Chomsky (1995b, chapter 2).

لا يعني أنها نابعة من حقيقة أن عناصر هذه الجملة يُمكن التحصّل عليها عند المستويات الوجيهيّة. إذن، أيًا كانت علاقات الصوت ـ المعنى، هي علاقات تشير إلى شيء يذهب إلى أبعد من خاصية قابلية التحصيل المتاحة لعدة أنساق أدائية، أي خاصية امتلاك النوع الملائم من التمثيلات الصوتية والدلالية، أو التمثيلات الوجيهيّة.

إذا كانت لغة الإنسان مُثلى بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى؛ فإن علاقات الصوت ـ المعنى للجملة التي ذكرتها ـ مثلًا ـ، أو لأي جملة في أي لغة، ستأتي من حل أمثل لشروط المقروئية، والأمر نفسه ينطبق على تشكيلة كاملة من الخصائص التجريبية للتعابير في لغة ما ولغيرها من التعابير في اللغات كلها. أفضل نظرية لا تأخذ بعين الاعتبار إلا استيفاء شروط المقروئية ستظل أفضل نظرية حتى لو أضفنا كل الشروط الأخرى. لن يتوجّب علينا تغيير النظرية عندما نضع في عين الاعتبار بقيّة الشروط التجريبية.

افترضت دراسة اللغة منذ آلاف السنوات بأن عليك على الأقل أن تستعمل علاقات الصوت ـ المعنى حتى تكتشف خصائص لغة ما، كل البحوث افترضت ذلك، لكن هذا الافتراض هو ما نُسائله الآن. فنحن نقف عند احتمال مفاده أننا لو عرفنا بما فيه الكفاية ماهية شروط المقروئية؛ فإن علاقات الصوت ـ المعنى ستتبعها. لن نحتاج إلى هذه العلاقات كدليل لتحديد خصائص لغات معينة، والأمر نفسه ينطبق على طيف كامل من الأدلة التجريبية الأخرى.

هذا في غاية الغرابة. لا شيء في علم الأحياء يشير إلى أن تصميمًا أمثلًا بهذا المعنى ممكن. مع ذلك هناك شيء من الوجاهة في افتراض أن اللغة ـ وبشكل مفاجئ ـ قريبة من أن تكون مُثلى بذلك المعنى اللافت

للنظر، أي: أنها شيء قريب من حل أمثل لشروط المقروئية، أو ما يُسمى أحيانًا «شروط خرج عارية»[1]. لو تبيّن أن ذلك صحيح جزئيًا على الأقل؛ سيكون الأمر مفاجئًا للغاية، وإلى ذلك الحد، سيكون مثيرًا للاهتمام جدًا.

ومن المثير للاهتمام أيضًا محاولة تحديد النقائص الظاهرة وفحصها. البرنامج الأدنوي قائم على افتراض أن هذا سؤال جدّي كذلك. ثم لدينا الأشياء التي أشبه ما تكون بالحدوس التالية لنبحث فيها: أولًا: نحاول وضع الافتراضات حول اللغة تحت فحص دقيق لرؤية هل هي مبررة تجريبيًا، أم هي مجرّد نوع من التواضعات التقنية التي من شأنها التعتيم على الفراغات في فهمنا لطبيعة اللغة. ثانيًا، عندما نجد ما يتعارض مع افتراضنا بأن اللغة مثلى، أي مع التصوّر الطبيعي في استيفاء شروط المقروئية فحسب، سنضع علامة استفهام ونسأل فيما لو كان هذا التعارض مبررًا. في كل حالة، عندما يبدو افتراض ما وكأنه غير ضروري تصوريًا (على افتراض شروط المقروئية)، فإن ما يتعيّن علينا فعله هو محاولة إيجاد تفسير بديل للحقائق التجريبية لا يقلّ جودة عن الافتراض غير الضروري. إذا كنا أكثر طموحًا، فقد نحاول إثبات أنه بإمكاننا حتى أن نقدم تفسيراً أفضل شريطة الاستغناء عن ذلك الافتراض غير الضروري، أي أننا قد نصل إلى تفسير أعمق وأبعد مدى مع نطاق تجريبي أرحب في حال التخلّي عن تلك التقنية الإضافية، والتقيّد بدلًا من ذلك بالافتراض الذي يشير إلى اللغة بوصفها تصميمًا أمثل. هذا هو البرنامج.

(1) على سبيل المثال، مطلَب أن يكون مُكوّنًا ما في جملة ما محوريًا (مثلًا، أن يستقبل بُورة): «سمكة» كما في (fish I like) (السمك أُحب). بمصطلحات فرضية «المركب الفعلي ذو الفاعل الداخلي» (انظر: الهامش(2) من قسم المناقشة أدناه)، كل من «سمكة» و«والألف» في أحب تنتج داخل م.ف (مركب فعلي)، وكلاهما يستخرجان من م.ف. تستخرج «سمكة» لكي تُموضع (تستقل بُورة). استخراج «الألف» في أحب يجب ألّا يشغلنا في هذا المقام.

باتباعنا لهذا البرنامج، تواجهنا مشكلات على النحو التالي: قبل كل شيء، عليك أن تُظهر ـ خلافًا لما كان يعتقد دومًا ـ بأنه لا وجود لمستويات لغوية غير المستويات الوجيهية نفسها، التمثيلات الصوتية والدلالية. لا يجب أن تكون هناك مستويات أخرى؛ لأن المستويات الأخرى لا تُحفِّزها شروط المقروئية. إذن ما ينبغي القيام به هو أن تُبيِّن بأنها تُستخدم كأداة تقنية بهدف ردّم الهوة في فهمنا فحسب. حالما تستغني عنها؛ فستحصل على شروحات أفضل، لا وجود لشيء اسمه بنية عميقة أو بنية سطحية بالمعنى التقني لهاتين الكلمتين، وكل ما فُسِّر على ضوء هذين المستويين أسيء فهمه ووصفه. ينبغي تفسيرها بواسطة المستويات الوجيهيّة، هذه مهمة في غاية الضخامة. وبلغة تخصصية أكثر: يعني هذا بأن عليك أن تظهر بأن مبدأ الإسقاط خاطئ،[1] وأن نظريتي الربط والإعراب لا تنطبقان على البنية س كما أُفترض ذلك دومًا[2]، وغيرها من الأمور الأخرى.

(1) مبدأ الإسقاط ـ كما هو مذكور في Chomsky (1981) ـ كالتالي:
التمثيلات في كل مستوى تركيبي (مثل ص.م، والبنية ـ ع، والبنية ـ س) مسقطة من المعجم، وفي ذلك فهي تلاحظ خصائص التفريع المقولي للوحدات المعجمية.
لضرب بعض الأمثلة لخصائص التفريع المقولي للوحدات المعجمية: الفعل «ضرب» يجب أن يأخذ مركبًا اسميًا (م.س) بوصفه مفعولًا مباشرًا له، والفعل die (مُت) يجب ألا يأخذ أي مفعول، والفعل give (أعطِ) يجب أن يأخذ م.س ومركبًا حرفيًا (م.ح).
أضيف لهذا المبدأ مطلَب إضافي هو أن تملك الجُملة فاعلًا، وسُميت في صيغتها المعدَّلة «مبدأ الإسقاط المُوسّع» (م.إ.م). انظر: Chomsky (1982). فيما بعد، عُرف هذا المطلب الإضافي لوحده باسم م.إ.م. الآن في المفهوم الأدنوي للنحو، الذي استغنى عن تمثيلات البنية س والبنية ع، ونفى تمثيلات ص.م التي تنتج كلامًا بلا معنى، لا مكان لمبدأ الإسقاط الأصلي (Chomsky (1995b, chapter3. فيما يتعلق بالمَطلَب المُضاف (م.إ.م)، عُبر عنه الآن بطريقة مختلفة: الرأس التصريفي في المركب التصريفي (م.ت) له السِمة «الأقوى»، بمعنى أنه يجب أن يكون له مسند إليه (فاعل). انظر: (Chomsky (1995b: 232 لمزيد من التفاصيل التقنية.

(2) نظرية الربط معنية بإسناد السوابق إلى العوائد نفسه (himself)، بعضهم بعضًا ((each other، إلخ)، وتحديد أي المركبات الاسمية في الجملة التي لا يُمكنها أن تكون سوابقًا لضمائر

المشكلة الثانية التي يجب عليك أن تتعامل معها هي محاولة إظهار أن الوحدة المعجمية ـ التي هي مجموع لخصائص تُدعى «سِمات» ـ لا تحتوي على سِمات غير تلك التي تُؤول في الوجيهة، ولا تقدّم عناصر أخرى في فعلك لذلك. إذن، لا قرائن، لا بِنية مُركبيّة حسب نظريّة س ـ خط، كل هذا يجب أن يُطرح جانبًا[1]. علينا أن نُظهر بأنه عندما نستغني عن نظرية س ـ خط، والقرائن، وكل هذه الأدوات المشابهة؛ فإننا سنعثر

(«هو، «هن»... إلخ) وضمان أن تبقى تعبيرات ـ ح («زيد»، الجو جميل»... إلخ)... بلا سوابق في جُملة ما. نظرية الإعراب (نظرية الإعراب التجريدي) لها جوهريًا ناحيتان:
(أ): إسناد حالة إعرابية (مُجرّدة) إلى المركبات الاسمية المعجمية، أي: تلك التي لها محتوى صوتي. مع ذلك انظر: Chomsky (1986) حيث يشير إلى أن الضم ـ الفاقد لمثل هذا المحتوى ـ له حالة إعرابية. الضم (العائد الضميري) هو ما يُسمى بالـ«الفاعل المفهوم» في البنيات الغير مُتصرّفة، كما في «يريد زيد [[ضم] أن يذهب إلى المنزل]»، حيث يدل التقويس الخارجي إلى الجُملة الغير مُتصرّفة.
(ب): تقييم سلسلة بوصفها غير نحوية تحتوي مركبًا اسميًا معجميًا بلا حالة إعرابية (تُسمى «مِصْفاة إعرابية»). يُفترض أن هذين ينطبقان على مستوى البنية ـ س، لكن مؤخرًا في البرنامج الأدنوي الذي تخلى عن البنية ـ س، والفحص الإعرابي وإسناد السوابق إلى العوائد... إلخ. تقع في مكانٍ آخر. مهمات نظرية الربط يجب أن تُنجز في مستوى ص.م. الإسناد الإعرابي لم يعد مطلوبًا بما أن المُركبات الاسمية دخلت في عملية اشتقاق مُصرفة قبلًا بالسِمات الإعرابية، يُمكن رؤية المِصفاة الإعرابية الآن بوصفها شرط وجيهي يتطلّب أن يُجرى الفحص الإعرابي خلال عملية الاشتقاق نفسها. انظر: Chomsky (1995b: chapter 3 لمزيد من التفاصيل.

(1) أُعتبر الـ«مركب» موضوع التركيب الأساسي. وفقًا لنظرية الربط العاملي، تعتبر المصطلحات التالية من النحو التقليدي أمثلة للمركب: الجُمل الرئيسية، والجُمل المعطوفة، والجُمل التابعة، والمُركبات، مثالًا للمركب. في النسخ الأولى للنحو التوليدي المعاصر، اعتنت قواعد البِنية المُركبيّة (قواعد ب.م) بالبِنية الداخليّة للمُركبات. ولا تزال بعض نسخ النحو التوليدي ـ مثل النحو المُعجمي الوَظيفي ـ تفعل ذلك. ثمّة محاولات لنبذ قواعد ب.م من أصلها، وأيًا ما تبقى منها في نموذج الربط العاملي فسيكون في شكل مخطط س ـ خط.
قُدّمت نظرية س ـ خط في أواخر الستينيات. أحد أهم الأشياء التي فعلتها هو اعتنائها بالبِنية الداخلية لكل المركبات (س) في ضوء رأس (س)، والمُخصص، والفَضلة. في هذا المخطط، يُرى المركب باعتباره الإسقاط الأقصى لرأسه: على سبيل المثال، المركب الاسمي (م.س) (إبادة المدينة) هو الإسقاط الأقصى للاسم (س) (إبادة)، والمركب الفعلي (م.ف) (أبيدت المدينة) هو الإسقاط الأقصى للفعل (أبادَ)... إلخ. اللغات التي تبدأ بالرأس =

على حلول ليست بنفس الجودة فحسب، بل أفضل حتى. هذه هي المهمة الرئيسية الثانية. المهمة الرئيسية الثالثة هي إظهار أنه لا وجود لعلاقات بنيوية غير تلك التي فرضتها شروط المقروئية (بما في ذلك خصائص مثل المُتَاخَمَة، والبنية المحورية، والحيز في الصورة المنطقية) أو حتى التي تنتج بطريقة طبيعية معينة من خلال عمليات الاشتقاق نفسها. خذ مثلًا التحكُّم المكوِّني[1]. التحكُّم المكوِّني هو الخاصية التي تحصل عليها إذا دمجت مُركبين، وأحدهما متعلق بأجزاء من الآخر، ستعرف أي واحد هو من خلال شروط الخَرْج؛ لأن المستهدفة لم تعد مرئية بعد الآن، فيجب على الأخرى أن تكون هي التي تتحكم مكونيًا (لن يعني ما قلته للتو أي شيء بالنسبة لمن لا يعرف المصطلحات التي استخدمتها). يمكنك تعريف التحكم المكوِّني بهذه المصطلحات، وبالتالي هي علاقة مشروعة. العلاقات المَحلية هي أيضًا علاقات مشروعة، لكن لا

= (مثل الإنكليزية) لها ترتيب رأس ـ فضلة، واللغات التي تنتهي برأس (مثل الهندية) لها ترتيب فضلة ـ رأس. البِنية الداخلية لأي مركب في اللغات التي تبدأ برأس هي:

[[Xoc SPEC [Xoc [X Head] COMPLEMENT]

فَضلة رأس مُخصص

يُمكن رؤية تنظيم س ـ خط بوصفه مُعيَّرَة معطاة من النحو الكلي. هي قيد يجب أن تستجيب له قواعد ب.م في نحو ما حتى تمتلك مثل هذه القواعد. انظر: (Chomsky (1972b لمزيد من التفاصيل. انظر أيضًا: (Chomsky (1995a لعرض وافٍ لفكرة إمكانية التخلّص من نظرية س ـ خط.

(1) التحكم المكوني علاقة بنيوية بين كيانين في التشجير السُلمي. يوجد أكثر من تعريف واحد لهذه العلاقة في الأدبيات التخصصية. أحد هذه التعريفات كالتالي:
يتحكم كيان «أ» بالكيان «ب» مكونيًا إذا كان كل إسقاط أقصى يشرف على «أ»، يشرف على «ب» [كذلك] في التشجير (=التشكيل) التالي، يتحكم V [الفعل] مكونيًا بـ[المركب الاسمي] وPP [المركب الحرفي]:

[v"[v"V NP] PP]

في ضوء تعريف آخر للتحكم المكوني، تتحكم V مكونيًا بـNP، لكنها لا تفعل ذلك بـPP NP

في ضوء تعريف آخر للتحكم المكوني، تتحكم V مكونيًا بـNP، لكنها لا تفعل ذلك بـPP

شيء غير ذلك على الأغلب. هذا يعني بأنه لا وجود للعَمل، ولا للعَمل المناسب[1]، ولا لنظرية الربط داخل اللغة، ولا أنماط أخرى من التفاعل.

أولئك الذين لهم ولهن دراية بالأدبيات التخصصية (أخشى أنني أضيق شريحة المتلقين الآن، لكنني لا أعرف طريقة أخرى في مواصلة المحاضرة) يُدركون بأن هناك حجمًا هائلًا من الأدلة التجريبية لدعم النتيجة المقابلة لكل نقطة أشرت إليها. فضلًا عن ذلك، مضمون الافتـراض الجوهـري والأساس للأعمال الأخيـرة ذات الإنتاج المثمر ـ وإنجازاتها المثيرة للإعجاب بحق ـ هو أن كل ما قلته للتو غير صحيح، أي: أن اللغات منقوصة إلى حدٍ بعيد في كل هذه الجوانب و ـ كما يمكنكم أن تتوقعوا بالفعل ـ لها قرائن ومستويات الإسقاط، والبنيات العميقة والبنيات السطحية وكل أنماط العلاقات، وما إلى ذلك. إذن ليس أمرًا هينًا أن تثبت المقابل، وعلى الرغم من ذلك، أعتقد بأن المقابل قد يكون صحيحًا.

(1) العمل والعمل المناسب علاقتان بنيويتان بين كيانين في التشكيل الشجري. الأول جوهري لمفهوم المحليّة، ومطلوب لحالات عديدة: الربط، والحالة الإعرابية، إلخ. الثاني مَطلب يجب أن تحققه آثار المكونات المنقولة.
تعريفات:
عمل: أ تعمل في ب إذا، وفقط إذا (1) أ تتحكم مكونيًا بـ ب، (2) أ رأس، و(3) كل إسقاط أقصى يشرف على ب، يشرف على أ.
العمل المناسب: أ تعمل على نحو مناسب بـ ب إذا، وفقط إذا (1) أ تعمل في ب وأ معجمية، أو (2) أ الغير موضوعية محليًا تربط ب.
لمزيد من التفاصيل أنظر Chomsky (1981, 1986b)، وLasnik and Saito (1984)، من بين عدّة أعمال أخرى. لم يعد البرنامج الأدنوي في حاجة لهذه المصطلحات. العلاقات المحلية الأكثر أساسية، مثل مُخصص ـ رأس، ورأس ـ فَضلة إلخ، تعكس مفهوم عمل زائد عن اللزوم. مثلًا، مفهوم العمل المحتاج إليه غيرُ مُضمّن في نظريتَي الحالة الإعرابية والمحوريّة، أثارهما مُتكفّل بها في ضوء العلاقات أعلاه.
فيما يتعلّق بالعمل المناسب، فقد أختزل بشكل جوهري إلى شروط مقتصدة لأنماط مختلفة.
لمزيد من التفاصيل التقنية، انظر Chomsky (1955b)، خصوصًا في الفصلين الثالث والرابع.

الآن ثمّة ما يبدو بأنها نقائص حقيقية، وهذه هامة. أحد هذه العيوب الهامة في لغة الإنسان هي خاصية النقل التي يبدو بأنها كُليّة، تبدو مُعقدة، ولم تبنى قط داخل أنساق رمزية مصممة لاستعمالات مخصوصة، والتي تُسمى أحيانًا باللغات الصورية. ما أعنيه بذلك هو تلك الحقيقة واسعة الانتشار التي مفادها أن المُركبات تُؤول كما لو كانت في موقع مختلف في البنية، حيث تظهر مثل هذه الوحدات. هذه خاصية كلية في اللغة ولها نتائج جَسِيمة في تأويلات الصوت والمعنى. على سبيل المثال، عبارة «the book seems to have been stolen» (يبدو بأن الكتاب قد سُرق) ما العلاقة بين «book» (كتاب) و«steal» (سرقة)؟ تفهم بأنها نفس العلاقة التي في «John stole the book» (سرق زيد الكتاب) حيث هناك علاقة طبيعية ومحلية بين «steal» (سرقة) و«book» (كتاب)[1]، لكن لا توجد هذه العلاقة في «يبدو بأن الكتاب قد سُرق». خاصية النقل هذه خاصية عامة في اللغة[2]. تبدو كنقيصة، فأنت لا تبنيها في أنساق كاملة تصممها لأغراض مخصوصة، لكنها موجودة في كل لغة طبيعية. أولًا، ينبغي تفسير هذه الخاصية، وثانيًا، يجب أن تؤطر نظريًا بشكلٍ من الأشكال.

أُفترض في بدايات النحو التوليدي أن الخاصية تكفلت بها عملية تنقل المُركب من موقعه التأويلي إلى الموقع الذي تُلفظ فيه. سُميت

(1) العلاقة بين«سرق» و«كتاب» هي علاقة فعل ـ مفعول المألوفة (مثال لعلاقة «رأس ـ فَضلة» في ضوء مصطلحات س ـ خط النظرية)، والتي هي محليّة جدًا، ودلالية بمعنى من المعاني. في المقابل، لا توجد علاقة دلالية بين «يبدو» و«كتاب» (قارنها مع العلاقة بين «زيد» و«نام» في «نام زيد»، التي تعتبر دلالية)، فضلًا عن ذلك، وقعت «كتاب» في جُملة مختلفة (أي: الجُملة الرئيسية) من تلك التي تلقت تأويلًا دلاليًا (الجُملة التابعة).

(2) لمزيد من التفاصيل التقنية والمفهومية حول خصيصة النقل «displacement» بوصفها نقيصة في اللغة، انظر: Chomsky (1995b: 4.7.1; 1997).

تلك العملية التحويل النحوي. كل نظريّة في اللغة لها طريقتها في تفسير خاصية النقل؛ فكلها لديها تحويلات نحوية أو ما شابهها[1]. السؤال الذي ينبغي طرحه هو كيف تقع؟لأن وجود هذه الخاصية في اللغة حقيقة ثابتة. أرى بأن هناك سببًا معقولًا لاعتقاد أن هذا الافتراض الأصلي صحيح بطريقة أو بأخرى. إذا كان ذلك كذلك؛ فهناك عملية لغوية تأخذ مُركبًا مبنيًا وتربطه في مكان آخر. سيكون أبسط افتراض ـ التفسير طبقًا لأبسط الافتراضات هو كالتالي : ظهر المركب في الموقع الأصلي، وفي المكان الذي ربطته به.

الافتراض الأعقد من هذا هو أن هناك عملية مُركبة: تأخذ المُركَّب، وتربطه في مكان آخر، وثم تحذف الأصلي. هاتان عمليتان؛ بالتالي هي أعقد. ظاهريًا، كلما بدا الافتراض أعقد كلما بدا صحيحًا، في حقيقة الأمر أنت تسمعها في موقعٍ واحد فقط. لا تسمع «the book seems to have been stolen [the book]» (يبدو بأن الكتاب سُرق [الكتاب]) أو ـ لأولئك الذين يعرفون عما أتحدّث عنه ـ لا تسمع

«the book seems [the book] to have been stolen»

([الكتاب] يبدو الكتاب سُرق [الكتاب]).

إنها في ثلاثة مواقع، هذا ما يجب أن يكون عليه الأمر في الحقيقة فيما

(1) على سبيل المثال، يدَّعي النحو المُعجمي الوَظيفي (ن.م.و) أنه توليدي، ولكنه ليس تحويليًا. له قواعد البنية المركبية، لكن ليس له قواعد تحويلية بالمعنى المألوف لها. على أي حال، النقطة التي يريد تشومسكي إيصالها هي أن الأدوات التقنية (=التخصصية) التي تستخدمها الأنحاء اللاتحويلية مثل ن.م.و، والأنحاء المُركبية المُعممة (ن.م.م) بدلًا من القواعد التحويليّة لتفسير حقائق النقل، هي ليست إلا محض بدائل مكافئة للقواعد التحويلية.
لمزيد من التفاصيل حول ن.م.و، انظر: **Bresnan** (1982)، وحول ن.م.م، انظر: على سبيل المثال **Gazdar** (1985).

لو اتبعت العملية بشكل صحيح. إذن يبدو بأن هذه هي العملية الأعقد، وليس الأبسط، كما كان الافتراض الأصلي الذي اتضح بأنه خاطئ.

تبين أن هناك أدلة جيدة جدًا تُفيد أن المُركب في كلٍ من هذه المواقع: في الموقع الأصلي، وفي الموقع الأخير، وفي كل المواقع البينية(1). تلك الحقيقة لها عدة نتائج تتعلّق بالتأويل الدلالي. فهي تعني أن أيًا ما كان الذهن يفعله؛ فهو يراه في كل هذه المواقع، هذه هي «صيغة النسخة» من نظرية الأثر. لكن دائمًا ما أُفترض على نحو خاطئ أن «صيغة النسخة» أكثر تعقيدًا، مما يتوجب عليك تبريرها تجريبيًا(2).من يقول بالافتراض المقابل هو الذي يُطلب منه ذلك. صيغة النسخة من نظرية الأثر هي أبسط افتراض: مفادها أن العملية الوحيدة هي عملية الربط. عليك تبرير عدم وجود هذه النظرية. تبيّن أن اللغة كاملة بما فيه الكفاية، مما يعني أن الافتراض الأبسط صحيح، وهذا له العديد من النتائج.

---

(1) يبيّن هذا ما يُسمى بصيغة النسخة للنقل. ولتوضيح ذلك بشكل غير تخصصي متجاهلين الكثير من التفاصيل، نقول: عندما تحل حركة ـ oc محل مكون ما، تبقى نسخة مماثلة منها في المكان الأصلي. يُنطق المكون في الموقع الهدف، ويسند إليه تأويل دلالي (وبكلمة تقنية أكثر:محوري) في موقع أصله. المكون المنقول ونسخته يكوّنان سلسلة. السؤال هو فيما إذا كان هناك أي مسوغ لوجود نسخة في الموقع الوسيط، حيث لا تُنطق ولا تؤول؟. ثمّة بالفعل شيء من التسويغ من بنيات كالبنيات التالية:

«John seems it to have been expected to leave»

يغادر لـ يُتوقع لـ ضم حشوي يبدو زيد

[يبدو أن [it] زيد تُتوقع مُغادرته]

تُظهر استحالة وجود «it» في مكان فاعل الجُملة التابعة أن المكان مملوء قبلًا بنسخة للمكون المنقول «زيد». بعبارة أخرى، لم يقفز «زيد» مباشرةً من موقع فاعل الجُملة إلى موقع فاعل الجُملة الرئيسة، بل وصل هناك من خلال «تتابع سلكي». لمزيد من التفاصيل، انظر: Chomsky (1995b).

(2) انظر: Chomsky (1975) لتفسير غير تخصصي لنظرية الأثر.

لماذا تسمع المُركب مرّة واحدة فقط؟ هذا بسبب مبدأ في غاية السطحية في وَجيهة الخَرج الصوتي التي تمحي كل شيء ما عدا واحدة، وتفعل ذلك بطريقة عامة جدًا[1]. لكن بالنسبة إلى الذهن، فهي كلها هناك. إذا لم تتكبد عناء التحدث؛ ستكون كلها هناك. في حقيقة الأمر، هي كلها هناك في العمليات الذهنية لكن بعضًا منها قد نُطق، واحدة منها، تحديدًا.

لماذا يجب على اللغة أن تمتلك خصيصة النقل هذه؟ هذا سؤال هام نُوقش لما يقارب الأربعين عامًا من دون تقدمٍ كبير. لكنها تمتلك هذه الخصيصة، وثمّة بعض الأفكار عن لماذا يجبُ عليها ذلك. يُمكن إعادة تفسير هذه الأفكار باعتبار شروط المقروئية في السطح. على سبيل المثال، يبدو بأن هناك اختلافًا أساسيًا بين نوعين من الخصائص الدلالية: خصائص «البنية العميقة» و«البنية السطحية» في إحدى التصورات. يعتمد الأخير على نقل وحدة ما إلى موقع «أهم» على حافة (ربض) التركيب. إذا أمكن تطوير مثل هذه الأفكار بنجاح، فقد يتبيّن أن خصيصة النقل ليست نقيصة في نهاية الأمر، بل شرط مقروئية مفروض بشكل خارج، ويجب أن تستوفيه اللغة الإنسانية (لكن ليس لغاية خاصة للأنساق الرمزية التي تفتقر إلى «الدلالات السطحية» للغة الطبيعية، والتي لا يجب عليها أن تستوفي شروط مقروئية اللغات الطبيعية). مهما تكن الإجابة على سؤال «لماذا»[2]، يبدو بأن مبدأ النقل صحيح وهو موجود بشكل كُلّي؛ إذن المشكلة هي تحديد طبيعته. كان هذا أحد مواضيع البحث المركزية لما يقارب الأربعين عامًا.

---

(1) لشيء من النقاش حول الموضوع، انظر: Chomsky (1995b) خصوصًا في الفصلين الأول والثالث.

(2) انظر: المراجع في الهامش رقم (1) ص 59.

هناك ما يسوّغ الاعتقاد بأن العنصر الجوهري لعملية النقل، أهم ما فيها، هو حقيقة أن سِمات مُعينة للوحدات المعجمية غير مقروءة في الوجيهة الدلالية، وما يعنيه ذلك هو أن لا تأويل لها. هي هناك، لكن لا تأويل لها. إذا لم يكن لها تأويل؛ فيجب أن تُمحى، وإلا لن يكون في مقدور الوَجيهة الدلالية أن تقرأ الخَرج. فهناك سِمات الوحدات المعجمية التي يجب أن تمحيها الحوسبة في مكانٍ ما في حال سيقرأ التعبير. العلاقات الوحيدة الموجودة هي علاقات محليّة؛ فيجب أن تُجلب في علاقة محليّة مع شيء يُمكنه أن يمحيها. لكن العنصر الذي في إمكانه محيها عادةً ما يصادف أن يكون نائيًا، فيجب جلبها في علاقة محلية معه (ويجب أن تحمل معها عناصر أكبر لأسباب مستقلة). يبدو هذا هو جوهر خاصية النقل، تقنية تمحو السِمات غير المقروءة في الخَرج.

ما نوع هذه السِمات؟ أحد الأمثلة هو الحالة البنيوية للأسماء. فيمكنك أن تفهم «كتاب» مثلًا بنفس الطريقة تمامًا إذا كانت في حالة الفاعلية أو في حالة المفعولية أو إرغتية (التعدي) أو حالة المطلق، كلها لها نفس التأويل. فخاصية الحالة البنيوية غير مقروءة في السطح، مما يعني أنها لا تُشكِّل أي فرق في التأويل. فيجب أن تُحذف. الطريقة الوحيدة لحذفها هي أن تأخذها وتضعها في مكان آخر في علاقة محلية مع شيء يُمكنه أن يزيلها. ثم كلاهما سيختفي ولن يكون هناك ما هو غير مقروء، لكن هذا سينتج خاصية النقل، وينطبق الأمر نفسه على سِمات تطابق الأفعال مثلًا. لو كان الاسم مفردًا أو جمعًا؛ ستفهمه على نحوٍ مختلف. لكن لو كان الفعل مفردًا أو جمعًا؛ فستفهمه بنفس الطريقة تمامًا. فسِمات مطابقة الأفعال غير قابلة للتأويل ويجب أن تُمحى، مما يعني أن شيئًا ما يجب أن يدخل في علاقة محلية معها، وهذا سيفرض نقل توافق لسِمات مطابقة

الأسماء، ونقل المُركب حيث يظهرون، إلى آخره، ويكون ذلك في أمور كثيرة.

ما حد المحليّة الذي يجب أن تكون العلاقة عليه؟ ربما العلاقة في غاية المحلية إلى درجة أنه يجب أن تكون داخلية بالنسبة إلى الكلمة. يبدو بأن هذا ما عليه الأمر (لم يُضمَّن هذا في الفصل الرابع، تجاوزت ذلك الآن بدون قصد، أقول ذلك لأولئك الذين اطَّلعوا على الكتاب)[1]. يجب محو السِمات غير القابلة للتأويل في كلمة ما، وهذا هو جوهر مبدأ النَقل. تبيّن بأن هناك الكثير من الأشياء التي يُمكن شرحها بهذه المصطلحات. فيبدو أن هناك نقيصة، لكنها نقيصة محدودة للغاية تتعلق بعدم قابلية تأويل سِمات صورية مُعينة للوحدات المعجمية، وقد لا تكون هذه نقيصة على الإطلاق، بل الطريق الأمثل لاستيفاء شرط مقروئية مفروض بشكل خارجي، هذا لو كان للتخمين المذكور آنفًا بعض الوجاهة.

بعيدًا عن خصيصة النقل التي ـ قد ـ تختزل في سِمة نقل وبعض النتائج الآلية، ثمّة عملية أخرى في الحقيقة ضرورية في النسق الكامل. هي ضرورية بناءً على أسس تصورية تمامًا. تتطلب العملية كيانين لغويين شُكّلا قبلًا من خلال إجراءات تكرارية توليدية، وتركيب واحد أكبر منهما. إذن، لو شكّلت قبلًا «الرجل» و«سرق الكتاب» يُمكنك أن تُشكّل «سرق الرجل الكتاب». الآن، استنادًا على فرضيات أدنوية (أي: افتراضات كاملة)، يجب ألا يتضمن توليد التعابير أكثر من هاتين العمليتين، سِمة النقل لمحو السِمات غير القابلة للقراءة، والدمج ـ أخذ تركيبين ووضعهما مع بعضهما بعضًا ـ عملية النقل التامة تجمع هاتين:

(1) الإحالة لـ Chomsky (1995b).

جذب سِمة مزاوجة لمحو سِمة غير قابلة للتأويل، ومن ثم دمج مُركب يحتوي على سِمة مزاوجة (لو كان ضروريًا لأسباب أخرى، أحيانًا لا يكون الأمر كذلك، ولدينا سِمة الجذب لوحدها، كما فيما يُسمى «مطابقة المسافة الطويلة).

يبدو هذا على نحو مفاجئ أقرب للحقيقة، حينما نكتشف المبادئ التي تحكم العمليات الأولية ـ مبادئ المحلية، والاقتصاد، وإلى آخره ـ التي تُقيِّد بشكل جذري الطريقة التي ستشتغل بها هذه العمليات. لو كان هذا صحيحًا؛ فستكمن الاختلافات بين اللغات ـ إلى حدٍ بعيد ـ في الطريقة المحددة التي تتهجى بها السِمات غير القابلة للتأويل، في اللغات المختلفة (مثل التطابق الإعرابي والكلامي)، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من النتائج المُتعلّقة بخصائص معجمية محدودة ـ على افتراض وجود القيود الكليّة ـ والتي نأمل بأنها ستأتي تلقائيًا.

بالتأكيد تبدو اللغات مختلفة جذريًا في هذه الجوانب. فتسمع في السنسكريتية ـ التي لها نظام صرفي واضح وغني بحق ـ الكثير من التصريفات. لا تمتلك اللغة الإنكليزية شيئًا من ذلك تقريبًا، واللغة الصينية تمتلك أقل من ذلك أيضًا؛ فتبدو كل هذه اللغات مختلفة تمامًا بسبب ذلك. وبالإضافة إلى ذلك، تظهر في مواقع مختلفة تركيبيًا في كل مكان في اللغات المختلفة، مما يعني بأنه لا يمكنك أن تحصل على أي شيء بشكل منعزل، مثل ترجمات كلمة بكلمة.

أُكتشف بشكل متنامٍ مع ذلك أن هذه الاختلافات اختلافات سطحية، بمعنى أن اللغة الصينيةَ التي ليس لها تصريفات، والسنسكريتية التي لها الكثير من التصريفات تبدوان متشابهتين إلى حد بعيد، ربما حتى متطابقتين بعيدًا عن السِمات المعجمية الثانوية. لو كان ذلك كذلك؛ فبالنسبة إلى

الذهن، هما متشابهتان. تختلفان فقط في الطريقة التي يتحصّل بها النسق الحسِّي الحركي على الاشتقاق المُنتظم. كلها لها حالات إعرابية وتطابق وكل شيء آخر، حتى أغنى من السنسكريتية، لكن الذهن فقط من يمكنه رؤية ذلك.

ويبدو بأن هذا ينطبق أيضًا على المواقع التي تظهر فيها الكلمات. كلها متماثلة أساسًا، لكن النسقَ الحسي الحركي يتحصّل على جوانب مختلفة للاشتقاقات المُتشكِّلة في الذهن. إذا ما تأسست هذه النتائج على نطاق واسع، فسيمكننا مواصلة بحث المهمة الأساسية للبرنامج الأدنوي: محاولة إظهار أن الخصائص الكلية نفسها يُمكن تفسيرها بناءً على مبادئ التصميم الأمثل، هذا على افتراض مَطلب المقروئية في المدخل.

تحدثت عن اتجاهات البحث ودوافعه التي كانت حتى الآن تصورية منهجية. وحتى نمضي قُدمًا، علينا أن نبادر ببحث تجريبي مُفصَّل لتقييم هذه المقترحات النظرية. ثمّة مواد تحت الطباعة، وأكثر منها سيأتي لاحقًا[1]. ما مدى نجاحها؟ حسنًا، عليكم أن تحكموا بأنفسكم. تبدو بالنسبة لي مُشجِّعة للغاية ومفاجئة جدًا، مع أن سؤال إلى أي مدى يُمكن أن تصل إليه هذه الجهود هو سؤال مفتوح على مصراعيه، وسؤال في غاية الصعوبة. في العلوم الخاصة عمومًا، لا تُفحص عادة هذه المواضيع التي لها رُتبة صعوبة جديدة في أي من هاته المجالات.

في حالة ما نجحت إحدى صيغ هذا البرنامج؛ فسنحصل على صورة للغة ستكون مفاجئة بالنسبة لنظام أحيائي. إنها أشبه من عدة زوايا بما تجده

(1) بعض من هذه الأدبيات التخصصية متوفرة في الأعداد الأخيرة لـ Linguistic Inquiry، وLinguistics and Philosophy، وغيرها من الدوريات. لأعمال بطول كتاب، انظر: المنشورات الأخيرة في سلسلة البحث اللساني للدراسات ذات الموضوع الواحد لمنشورات =

في دراسة العالم اللاعضوي حيث تجد ـ لأسباب غامضة ـ محاولات إظهار أن الأشياء مُصممة على نحو كامل عادة ما تنجح. لا أحد يعلم السبب، لكنه كان ولا زال نوعًا من الحدوس المثمرة للغاية في العلوم الصِّرفة أن تفترض أن الأشياء كاملة حقًا. لو حصل وعثرت على رقم مثل سبعة؛ فعلى الأغلب أنك ارتكبت خطأً، يجب أن تكون ثمانية لأن ثمانية هو تكعيب اثنين، واثنان وثلاثة عددان صحيحان، لكن سبعة ليست كذلك، إنها في غاية التعقيد. كان ولا زال هذا النوع من الحدوس مثمرًا للغاية في العلوم الصِّرفة. هذه الافتراضات أقرب ما تكون إلى افتراضات التصميم الأمثل لكن في الأنساق البسيطة فحسب، تم اكتشافها من خلال تجريد بعيد المدى من ظاهرة الحياة العادية. لو صح شيء مثل هذا بالنسبة للغة؛ فسيكونِ الأمر مفاجئًا وهامًا.

طالما ما كان شعوري الخاص بأنه في هذا النطاق تحديدًا تقع أهم جوانب دراسة اللغة الهامة. يبدو بأن لها خصائص في غاية الغموض، وخصائص غير متوقعة بالنسبة للأنظمة الأحيائية، وكلما فحصناها عن كثب، كلما بدت غامضة ومثيرة للفضول.

= الأخيرة في سلسلة البحث اللساني للدراسات ذات الموضوع الواحد لمنشورات معهد ماساتشوستس (Linguistic Inquiry Monograph Series of the MIT Press).

المناقشة

دُعي الجمهور لطرح الأسئلة وتسليمها مكتوبةً اختصارًا للوقت. تَرأس راما كانتْ أغنيهوتري الأستاذ في جامعة ديلهي الجلسةَ. أعقب ذلك المحادثة التالية:

تشومسكي (مخاطبًا أغنيهوتري): لماذا لا أقرأها بنفسي، سَيُسهل ذلك الأمر.

أغنيهوتري: أردت تصنيفها، لكن يبدو ...

تشومسكي: حسنًا، إذا أردت فعل ذلك؛ فلنفعل ذلك.

أغنيهوتري: لو أمكنك الإجابة عن هذه الأسئلة أولًا؛ فسأعطيك المزيد.

تشومسكي: هذه رقابة، ثمّة رقابة تجري هنا.

مجال اللسانيات

سؤال: مع استبحار «الحقبة التشومسكيّة»، أصبحت اللسانيات بلا أدنى شك فرعًا معرفيًا يستحق الدراسة الجادة. في نفس الوقت أصبحت في غاية الصعوبة والتخصص إلى درجة أنها اقتصرت على أناسٍ يعملون في اللسانيات فقط. برأيك كيف يُمكن لهذا الموضوع أن يغدو مُتاحًا إلى أشخاصٍ غير متخصصين في اللسانيات؟ ماذا عن قابليته للتسويق؟.

تشومسكي: لا أحب هذه الشخصنة. هذه طريقة خاطئة في التفكير حول الأمور. لا توجد شخصنة في البحث العقلاني، الكل يشتغل فيه. لكن سأترك السؤال كما طرح.

حسنًا، قبل كل شيء، جزء كبير من اللسانيات في المتناول. يُمكنك طرح نفس السؤال بخصوص الكيمياء. يستحيل فهم جزء كبير جدًا من الكيمياء ما لم تدرس الكيمياء دراسة مكثّفة للغاية، لن تعرف عمّا يتحدث المتخصصون في الكيمياء، ولن تفهم نتائج بحوثهم ولا خلفياته ومبادئه، إلخ... لكن يمكن لأفكارٍ أساسية أن تكون في متناول الناس بسهولة تامة. هذا ما تفعله الكتابات العلمية المبسَّطة «Popular Science». جعل نتائج البحث التقني التخصصي في متناول الناس، في أيّ مستوى أرادوا فهمها، إنه عمل مشروع جدًا وله قيمة اجتماعية. فلو أنني كنت مهتمًا في تعلم شيء عن الفيزياء الكمومية، فأنا لا أريد تكبُّد عناء معرفة كل التفاصيل، أريد معرفة ما يجري بشكل تقريبي. هناك أشخاص وكتب إلى آخره يحاولون جعلها متاحة في مستوى اهتمامي. أعتقد بأن الأمر نفسه ينطبق على اللسانيات[1].

ماذا عن قابلية التسويق؟ الوظائف مشكلة بالتأكيد. عندما تدخل في أي مجال يصعب ويتعقد [مع الوقت]، هناك دائمًا سؤال فيما لو كنت ستحصل على وظيفة. هذا ينطبق على الرياضيات كما ينطبق على اللسانيات. في الولايات المتحدة الآن هناك في المتوسط بضع مئات من المتقدمين لكل منصب تخصصي متاح في الرياضيات، هذه مشكلة. ليست مشكلة تخص اللسانيات، في الحقيقة، من عدة نواحٍ تعتبر إشكاليتها أقل بالنسبة للسانيات.

---

(1) انظر: Pinker (1995) لسرد ممتع للأعمال الحالية عن اللغة.

على أي حال، هي مشكلة عامة. لها علاقة بمشكلة اجتماعية: إلى أي حدٍ يجب أن يكون هناك علم؟ إن الإجابة المُقدَّمة حاليًا عن هذا السؤال - في نظري - غير عقلانية بحق. لا يخفى أن الثروة والسلطة محصورتان إلى حدٍ بعيد جدًا في فئة محدودة، ومن يصنع القرارات هم هؤلاء الأشخاص الذين امتلكوا هذين الأمرين. الطريقة التي يتخذون فيها هذه القرارات تعتمد إلى حد بعيد على تقرير ما يريدونه من وجهة نظر قيمة السوق. هذه طريقة غير عقلانية بحق في اتخاذ قرارات اجتماعية. هذه القرارات - مثل كل القرارات - يجب أن تكون قرارات تُتخذ علانيةً بناء على أحكام تخص سؤال كيف ينبغي استخدام المصادر.

برأيي، يجب أن يكون هناك أكثر الكثير من العلم، وينبغي على الكل الانخراط فيه بمعنى من المعاني، مثلما ينبغي أن يكون هناك أكثر الكثير من الأدب والفن. هذه أجزاء مُثرية للحياة الإنسانية، يجب أن تكون في متناول الناس. هذا يعني أنه يجب علينا تخصيص مصادر لهذه الأمور. لكنك لا تجني المال بهذه الطريقة، وطالما هذه هي الكيفية التي تُوزع من خلالها الوظائف والمصادر؛ فستكون النتيجة هي الموجودة الآن. أعتقد بأن هذا لا عقلاني حقًا، لكن هذا له علاقة بنقص الديموقراطية في المجتمع عمومًا.

سؤال: المشترك بين علم اللغة لديك ونشاطك السياسي هو غياب أي دور للمجتمع والثقافة. إرادة المجتمع هي التي تعبّر عن نفسها في العدل كما في اللغة. في دراسة اللغة، ألا ترى بأنه سيُتحصَّل على نتائج أفضل من إعطاء قيمة إيجابية للاختلافات بين اللغات وللعلاقات التكاملية بين لغتين أو أكثر، يُتحدث بهما في آن واحد في نفس المجتمع، ومن خلال افتراض أن حالة ثنائية اللغة حالة عادية للنوع البشري؟.

تشومسكي: رؤاي السياسية لي. أي شيء يقوله الشخص عن السياسة سيكون له علاقة ـ بالطبع ـ بالمجتمع والثقافة. كيف يكون غير ذلك؟ هذا صحيح ليس كمحاولة لفهم العالم فحسب، بل لتغييره أيضًا. يجب أن تكون هذه النقطة واضحة لاسيما في حالتي أنا، لو كان ذلك فقط لاهتمامي والتزامي بالأناركية(*)، خصوصًا تلك التوجهات فيها التي تُشدد على أهمية المجتمع والنقابة والثقافة.

علم اللغة ليس لي. هو لكل شخص يشتغل فيه، لا يمتلك الناس العلم، فبالتالي، هو ليس علم اللغة التشومسكيّ. البحث عن فهم للكيفية التي يعمل بها العالم هو مشروع عمل تعاوني، ولا يُمكن لشيء يُسمى علم الكذا الفلاني أن يستحق أدنى اهتمام. ثمّة مجال معرفي يدعى عادة «النحو التوليدي»، لكنه ليس لي، أو لأي أحد آخر.

هذا الفرع من دراسة اللغة هو بالفعل موسوم بغياب أي دور للمجتمع أو الثقافة، لكن يعود هذا للسبب الذي ذكرته آنفًا: لا وجود لشيء معروف ذي شأن ـ على الأقل بالنسبة لي ـ حول المجتمع والثقافة له علاقة بهذه الأسئلة حول طبيعة نظام أحيائي معين. لو كان ثمّة شيء معروف، سأكون سعيدًا لأدرس عنه، لكنني لا أعرف شيئًا عنه، بالتالي، على حد علمي، لا توجد علاقة.

لكن لا يعني هذا القول أن أسئلةً حول المجتمع والثقافة واللغة غير ذات بال. هي في غاية الأهمية، لكن كذلك كل شيء عن الحياة الإنسانية، كل ما في الأمر هو أن معرفتنا العلمية حولها قليلة. ينبغي علينا أن نكون في غاية الوضوح والصراحة عندما نتحدث بخصوص ما نفهمه، أي ما

(*) هي فلسفة سياسة تعتبر الدولة غير مرغوب بها وليست ذات أهمية وأنها مضرة للمجتمع، وهي تروج لمجتمع بلا دولة، وتسعى لإلغاء تدخل السلطة في سلوك العلاقات الإنسانية.

لنا معرفة تقنية عنه، وعندما يكون مستوى فهمنا للأمور هو نفسه عند بقيّة الناس. كل ما نحاول فعله هو إيجاد طريقة لفهم الأمر بقدر طاقتنا، ولكن من دون فهم نظري ذي قيمة علمية. لو كان هذا خاطئًا، سيسعدني أن أصحح، لكنني لا أعلم سببًا يجعلني أعتقد بخطئه.

يُركز كل من يشتغل على اللغة ـ ومن ضمنهم أنا ـ انتباهه على «الاختلافات بين اللغات». لو لم نفعل ذلك؛ سنخلص إلى أن أيًا ما كانت اللغة التي ننظر فيها فهي فطرية، الأمر الذي سوف «يحل» الكثير من الأسئلة حول المَلكة اللغوية، واكتساب اللغة، إلخ. صادف أن كان أول عمل حديث في النحو التوليدي عن اللغة العبريّة[1]. وكان أول عمل منشور في النحو التوليدي عن لغة الهيداتسا[2]، ولا زال البحث مُستمرًا. القضية ليستَ قضية «نتائج أفضل» أو «نتائج أسوأ» بقدر ما هي إمكانية الشخص الإجابة عن سؤال ما، سواء كنّا سنحصل على «نتائج أفضل» أو «نتائج أسوأ» من دراسة الهيدروجين فقط أو الاختلافات بين الهيدروجين والهيليوم، أو دراسة ذباب الفاكهة فقط، وليس الاختلاف بين ذباب الفاكهة والقردة. عاجلًا أم آجلًا، سينصبُّ تركيز الشخص على الأسئلة التي تبدو واعدة.

فيما يتعلق بالقيمة الإيجابية للاختلافات بين اللغات وثنائية اللغة إلى آخره، حقيقة ليس لي أي رأي مدروس حولها. من نافلة القول أنك شخص أثرى لو كان لك أنواع متعددة من التجارب، هذا صحيح بلا مرية. فالتعرض لثقافات متنوعة والانغماس في ثقافات ولغات متنوعة إلى آخره، يضيف ثراءً معينًا للحياة، ونعم، الثراء في الحياة له قيمة إيجابية،

(1) انظر: Chomsky (1951).

(2) انظر: Matthews (1964).

لكنني لا أعلم أي شيء غير ما قلته يُمكن أن يُضاف إلى هذا الموضوع.

ثنائية اللغة حالة عادية بالنسبة للنوع البشري بالمعنى البديهي لأن العالم في غاية التعقيد إلى درجة أن حالة واحدية اللغة بالمعنى الصارم لهذا المصطلح شيء لا يُمكن تصوره. سيكون هناك تعدد حتى في أصغر مجتمعات الصيد التي تحتوي على خمسة عشر شخصًا في القبيلة. الناس ليسوا نسخًا، وطالما كان هناك شيء من التعدد، ستحصل على شيء من التنوع في تعدد اللغات. قد يكون هذا التنوع في منتهى الصغر إلى درجة أنك لن تُسميه «تعدد لغات»، لكن مع ذلك لا بد من وجود درجة ما من التنوع. بهذا المعنى الذي ذكرته، فتعدد اللغات حالة عادية للنوع البشري، لكنني لا أرى في ذلك أي شيء له قيمة عميقة.

من الجيد أيضًا أن نضع في اعتبارنا أن «تعدد اللغات» مفهوم حدسي مبهم، كل شخص متعدد اللغات بالمعنى التقني لهذه الكلمة. القول أن الناس يتحدثون لغات مختلفة مشابه إلى حدٍ ما للقول بأنهم يعيشون في أماكن مختلفة ويبدون مختلفين، مفاهيم مفيدة بامتياز في الحياة العادية، لكن قيمة الاهتمام بها نسبي. نقول بأن الشخص يتحدث بعدة لغات بدلًا من عدة تنويعات لإحداها، لو كان للاختلافات أهمية لهدف أو اهتمام ما.

سؤال: هل تعامل الموسيقى كلغة؟.

تشومسكي: ليس لدي شيء مميز لأقوله عن السؤال، لكن ثمة أناس عملوا عليه. أفضل الدراسات التي أعرفها من راي جاكيندوف وفريد ليردال[1] ليردال مؤلف موسيقي محترف وجاكيندوف متخصص باللسانيات وكذلك - إلى حدٍّ بعيد - موسيقي محترف. كتب كلاهما

(1) انظر: Jackendoff and Lerdahl (1983)، أيضًا: Jackendoff (1992).

كتابًا عن الجوانب اللسانية للموسيقى، وهو كتاب مثير للاهتمام جدًا. درسا مجالًا ضيقًا من الموسيقى (الموسيقى الغربية الكلاسيكية ذات المركز النغميّ) وحاولا إظهار أن لها خصائص شبه لسانية. يُمكنك قراءة الكتاب وترى إلى أي حد سيقنعانك. في الحقيقة كُتب الكتاب كنوع من الاستجابة لاجتهاد ليونارد بيرنشتاين في فعل شيء مشابه[1]

الآن، أفترض بأنهما على حق، هل يلزم من ذلك أن الموسيقى لغة؟ هذا سؤال لا معنى له؛ لأن مفهوم ما هي اللغة مفهوم لا معنى له. هل هي لغة إنسانية؟ لا، بالطبع لا، هي ليست لغة إنسانية. هل تُشابه اللغة الإنسانية؟ حسنًا، من بعض الجوانب بالتأكيد، لكن سيغدو السؤال حينها: إلى أي حد من «التشابه» تقصد؟.

القول بأن شَيئًا ما لغة قولٌ لا معنى له، هي كالقول: «إنها مشابهة بما فيه الكافية للغة الإنسانية فسأسميها: «لغة». هو كسؤال: هل يعيش أحد بقرب بوسطن؟ لا توجد إجابة محددة لهذا. لو كنت أتحدث إلى صديق في المنزل، وكنّا نتحدث عن كيفية الذهاب إلى العمل في بوسطن، يمكنني أن أسأل: «هل تعيش بالقرب من بوسطن؟»، إذا كان يعيش على مسافة عشرة أميال أبعد مما أعيش، سيقول: «لا». على الجانب الآخر، أتحدث لكم هنا في ديلهي وأسأل: «هل يعيش صديقي بالقرب من بوسطن؟» ستكون الإجابة: «نعم»؛ لأن ـ من منظور مختلف ـ هو يعيش بالقرب من بوسطن، على نحو مماثل، لا معنى لسؤال «هل شيء ما لغة؟» يمكننا أن نسأل فيما لو كانت تشابه اللغة الإنسانية من بعض الجوانب. ولو صادف أن شعرنا باهتمام نحو هذه التشابهات، فقد ندعوها بـ «لغة». إنه سؤال اصطلاحي.

(1) انظر: Bernstein (1976).

سؤال: ألا تعتقد بأن الشيفرات الجينية للفيروسات لغة؟.

تشومسكي: لا يمكن الإجابة عن السؤال، لأن مفهوم «لغة» غير دقيق أبدًا. إنه مشابه تقريبًا لسؤال ما إذا كانت الطائرات «تطير حقًا» (مثل النسور) لكن الغواصات لا «تسبح حقًا» (مثل الدلافين) والناس لا «يطيرون حقًا» عندما يقفزون فوق حاجز في الألعاب الأولمبية. في اللغة الإنكليزية، نتحدث عن أن الطائرات (وليس البشر) تطير، لكن ليس عن أن الغواصات تسبح. يختلف الاستعمال في لغات أخرى[1]. هذه ليست أسئلة حقيقية، بل بالأحرى، أسئلة فيما إذا نصادق على استعمالات مجازية معينة أم لا. ينطبق الأمر نفسه على الشيفرات الجينية واللغة.

قد تكون ثمّة أسئلة عامة وهامة عن ما تفعله الطائرات ويفعله الناس والنسور عندما يقضون وقتًا على الأرض، شيء ما ربما حول مبادئ الديناميكا الهوائية «aerodynamics». وقد تكون ثمّة أسئلة هامة عن العلاقة بين الشيفرات الجينية ونظام أحيائي معين واللغة الإنسانية (طرح بعض العلماء الجادين هذه الأسئلة). إلى أي حدٍّ هي هامة؟ سنعرف هذا بعد النتائج، وليس قبلها.

سؤال: من المعروف أن الأصم له حديث نفس (=داخلي). هل هذا مبني على الدِلالة أم على التركيب؟.

تشومسكي: الناس الفاقدون للتعرض للغة المنطوقة قد يكون وقد لا يكون لهم شيء يُشابه ما نُسميه: «حديث نفس». نحن واعون بالتأكيد بما يبدو في غاية الشبه باللغة، لكن من دون نطق، حتى قد يكون للأنساق الحسية الحركية علاقة، وربما شيء ما مثل هذا ينطبق على البشر عمومًا.

(1) في اللغة اليابانية، هناك معنى لـ «طيران» بحيث يطير الناس. في اللغة العبرية، «تتزحلق» الطائرات، لكنها لا «تطير».

وبالنسبة لما إذا كان لهذه الأنساق «تركيب» أو «دلالة»، يجب علينا أن نوضِّح أولًا ماذا نعني بهذين المصطلحين. لو كنّا نعنيهما بالمعنى المتداول في «نظرية العلامات» الحديثة؛ فبالتأكيد لها تركيب (أي: أنماط تنظيم العناصر الرمزية المُكونَة منها)، لكن قد يكون وقد لا يكون لها «دلالة» (أي: علاقة مزعومة بين الرموز وأشياء العالم غير الذهنية التي تُشير لها). ثمّة أسئلة غير هامشية تطل برأسها هنا، حتى بالنسبة للغة المنطوقة كذلك[1]

سؤال: لغة الإشارة أو اللغة الشفهية: أيهما يُعد الخيار الأنسب في سياق عجز الوجيهة الحسية الحركية، وذلك فيما يتعلق بالأطفال الذين لديهم ولديهن مشكلات في السمع؟.

تشومسكي: يعتمد ذلك على الظروف. لو أن جيراني لهم طفل عنده مشكلة في السمع وسألوني النصيحة، سأقول لهم أولًا: بأنني لست مؤهلًا لتقديم نصيحة حول ما هو الأفضل لطفلهم، وثانيًا: أقول بأن نصيحة الناس الذين لهم تمرُّس وتجربة حقيقية هي التي يجب أن تُقصد وتُقيم، لكن مع الأخذ بعين الاعتبار أن حتى أولئك لهم فهم محدود للغاية في مسائل عويصة كهذه. ومن ثم ـ لو أن نصيحتي لا زالت مطلوبة ـ سأقترح أن يتعرّض الطفل إلى كلٍ من لغة الإشارة واللغة الشفهية في بيئة طبيعية قدر الإمكان.

سؤال: هل هناك علاقة بين اللغة والجنسانية كما طرح ذلك جاك لاكان في نظريته للذاتية؟.

تشومسكي: أعرف لاكان شخصيًا ولم أفهم قط كلمة مما كان يتحدث عنه؛ لذا لا يمكنني الإجابة عن السؤال. في الحقيقة، لدي إحساس قوي

(1) انظر: النقاش حول «الدِلالة» في آخر قسم «نظرية اللغة».

بأنه كان يهزئ بنا، بأنه كان يحاول أن يرى إلى أي حد من الجنون يُمكن أن يصل إليه ولا يزال يأخذه الناس على محمل الجد. لا يمكنني إثبات ذلك، لكن هذا شكّي. كنّا ننسجم مع بعضنا بعضًا بشكل جيد، ونتحدث عن كل المواضيع، لكننا لم نتحدث قط عن هذه الأمور[1].

سؤال: هل تعتبر السيميائية علمًا كما اللسانيات اليوم؟.

تشومسكي: السيميائية هي ما هي. مهما بلغ مقدار فهمك لها، فلن تضيف لمعرفتك عمومًا أي شيء. بالنسبة لي، لا تبدو ذات أهميّة بالغة. كنت ذات يوم في مؤتمر عالمي جمعني بدان سبيربر «Dan Sperber»، سيميائي فرنسي وأحد أبرز المتخصصين في المجال. كان من المفترض أن يلقي كلمة عن السيميائية، نهض، وذهب إلى السبورة ووضع دائرة كبيرة كتب فيها «اللغة». ووضع بجوارها دائرة صغيرة ورسم سهمًا يشير إليها كُتب عليه «إشارات المرور». ثم التفت إلى المستمعين وقال: «هذه هي السيميائية». كان يبالغ بالطبع، لكن ثمّة ما هو صحيح في الفكرة التي أراد إيصالها. يُعرف الكثير حول أحد هذين الأمرين: اللغة، بينما لا يوجد الكثير ليقال عن إشارات المرور. ثمة مواضيع كبيرة أخرى مثل السينما والفن والعلاقات الإنسانية، هذه مواضيع في غاية الأهمية، لكن لا أعتقد بأنك تعرف الكثير حولها من خلال السيميائية. عليك أن تحكم عليها بنفسك.

سؤال: قيل بأن الإنسان العاقل «homo sapiens» له ميزة المَلكة

---

(1) يقول تشومسكي في موضع آخر عن جاك لاكان ما يلي:
«بالنسبة للاكان، على سبيل المثال ـ سيبدو قولًا قاسيًا ـ رأيي الصريح هو أنه كان دجالًا واعيًا بدجله، وببساطة، كان يتلاعب بالكلمات مع المجتمع الثقافي الباريسي ليرى إلى أي حد يُمكنه أن يتفوّه بالعبث والسخف، ويؤخذ مع ذلك على محمل الجد، أعني هذا حرفيًا، أعرفه». (مذكور في Rai 1995: 206).

اللغوية. هل من الممكن في الحقيقة أن الحيوانات أفضل حالًا منًا لأن أنظمتها التواصلية في غاية التعقيد (قول الكثير من خلال القليل)؟.

تشومسكي: لا أرى أي طريقة جدية في طرح سؤال من «أفضل حالًا»: النمل أو الطيور أو البشر أو أيًا كان. لا توجد معايير للمفاضلة. لو حصرنا ذلك في أنظمة التواصل فقط، سنعثر على أنواع كثيرة ومختلفة في العالم العضوي، بما في ذلك البشر (الإيماءات، إلخ). تُستخدم اللغة الإنسانية في التواصل أيضًا، ويتواصل الناس كذلك من خلال كل شيء يفعلونه تقريبًا، لكن هنا أيضًا تبدو المفاضلة عديمة الجدوى. يُمكن أيضًا أن ننظر إلى بعض أنظمة التواصل الحيوانية (نظرة غير ذات أهمية) على أنها «أغنى» من اللغة الطبيعية؛ فأنظمة التواصل هذه مُتصلة، على خلاف خاصية اللانهائية المتمايزة في اللغة الإنسانية، وهي خاصية غير مألوفة في الكائنات الحيّة[1]

خلال نقاشات القرن الثامن عشر الحامية حول ما إذا كان للقردة لغة أم لا، كانت إحدى الآراء تقول بأن للقردة لغة، لكنها ذكية بما فيه الكفاية لإدراك أنه لو أظهروا هذه القدرة؛ فإن البشر سيجبرونهم على العمل عبيدًا؛ لذلك فضلوا السكوت عندما يكون البشر في الجوار. لطالما أحببت هذا الرأي.

سؤال: ذكرت أن في بنيان الدماغ الإنساني بعامة أن جهاز اكتساب اللغة له مكان معين مع وجيهة من نوع ما، لكن هذه الوجيهة مفقودة في الرئيسات. هل تريد القول بأن حتى الحيوانات لها جهاز لغة، لكن بما أنها لا تملك إمكانية الحصول على الوجيهة المناسبة؛ فإنها غير قادرة على استعمال اللغة؟.

(1) انظر: الرد الأول في القسم التالي.

تشومسكي: قلت ذلك بالفعل، لكن قلته مازحًا. قلت بأنها احتمالية (احتمالية نظرية)، لا يوجد شيء نعرفه في العالم الطبيعي يُفيد بأنه من الخاطئ قول أن القردة لها مَلكة لغوية بالفعل، لكن لا تستطيع أن تتحصل عليها. هذا ممكن، لكن لا يوجد سبب للاعتقاد به. فبالتالي، نعم، هناك احتمالية و- ربما - سنكتشف يومًا ما بأنها صحيحة، لكن لا أحد يتوقع ذلك، على الأرجح أنها لا تمتلك مَلَكة لغوية.

أيًا يكن الأمر فيصعب شرحه. لا يوجد تفسير معروف لأغلب الخصائص المعقَّدة للعضويات. يتحدث الناس عن التطور الداروينى وما شابهه، لكن هذا لا يقدم لك إجابات حقيقية تتجاوز الأسئلة البسيطة. وهذا ليس في حالة أمور كاللغة. خذ أنظمة أحيائية مثل الفيروسات على سبيل المثال: عضويات بسيطة جدًا، لها خصائص تركيبية معينة مثل الأصداف متعددة السطوح. عزو ذلك إلى «الانتخاب الطبيعي» سيعني تجاهل المقصد.

أو خذ مثلًا متتالية رياضية تسمى: «متتالية فيبوناتشي». تظهر في كل مكان في الطبيعة، لا أحد يعرف السبب تحديدًا. لو التقطت زهرة «تبّاع الشمس» ونظرت في الزهرة، ستجد بأن لها لوالب تتجه نحو اتجاهات مختلفة. عدد الأجزاء التي تظهر في اللوالب المجاورة مرتبطة ببعضها بعضًا كمتواليات كما في متوالية فيبوناتشي(*). ستجد هذا الشيء في كل مكان في الطبيعة، لا يُعلم السبب بالضبط. ثمة شيء في العالم المادي

(*) نسبة إلى ليوناردو فيبوناتشي وهي الأعداد التي توجد في المتتالية التالية: 0، 1، 1، 2، 3، 5، 8، 13، 21... وبتعريفها فإن أول من أعداد فيبوناتشي هما 0 و1، ويكون كل عدد هو نتاج مجموع العددين السابقين له

يفرض بزوغ أنواع مُعينة من التراكيب في ظل شروط محددة[1]. إذا لم يمكنك أن تشرح لماذا تبدو زهرة «تبّاع الشمس» على ما تبدو عليه؛ فمن المستعبد أن يكون في مقدورك شرح كيف تبدو اللغة الطبيعية؛ فهي أعقد من ذلك بكثير. بالتالي، حقيقة أننا لا نعرف كيفية تقديم تفسير تطوري جدي لهذا لا تعد أمرًا مفاجئًا، فهو أمر متعذر عادةً فيما يتجاوز الحالات البسيطة.

اكتساب اللغة

سؤال: هلّا توسعت من فضلك في توضيح رؤاك فيما يخص قولك بأن اللغة فطرية، لكن أيضًا لها وظيفة مُتداخلة في كل من المستويين التلفظي والتمثيلي؟.

تشومسكي: حسنًا، قضية فطرية اللغة قضية لافتة للنظر. ثمّة حجم هائل من الكتابات يجادل ضد فطرية اللغة، ولا وجود لشيء يدافع عن الفرضية. فالمناقشة طريفة نوعًا ما لأنها من طرف واحد. يرفض كثير من الناس أطروحة أن اللغة فطرية لكن لا أحد يجيبهم، السبب في أن لا أحد يجيب عنها هو أن الحجج لا معنى لها. لا سبيل للإجابة عنها.

القول بأن: «اللغة ليست فطرية» كالقول بأنه لا فرق بين حفيدتي وصخرة وأرنب. بعبارة أخرى، لو أخذت صخرةً وأرنبًا وحفيدتي ووضعتهن في مجتمع يتحدث أناسه اللغة الإنكليزية؛ فسيتعلم كل منهن اللغة الإنكليزية. لو اعتقد الناس بهذا؛ فسيعتقدون بأن اللغة ليست فطرية. لو اعتقدوا بأن هناك فرقًا بين حفيدتي والأرنب والصخرة؛ فسيعتقدون

(1) انظر: Stewart (1995) لاستطلاع مشهور حول هذه القضية. انظر: Penrose (1995) لأمثلة مُشابهة وقضايا ذات صلة تدور حول نظرية الذهن (العقل)..

بأن اللغة فطرية. إذن؛ فالأشخاص الذين يشيرون إلى أن هناك شيئًا ما قابل للجدل حول افتراض أن اللغة فطرية اختلطت الأمور عليهم لا أكثر. الأمور مختلطة عليهم بشكل كبير إلى درجة أنه لا سبيل للإجابة عن حججهم. لا ريب أن اللغة مَلَكة فطرية.

القول بأن «اللغة فطرية» تعبير عن الاعتقاد بوجود طبيعة داخلية وأساسية بشكل ما تميِّز حفيدتي من الصخور والنحل والقطط والشمبانزي. نريد أن نعرف ما هي هذه الطبيعة الداخلية. بفهمنا الحالي: هي تعبيرات جينية تُنتج بطريقة ما المَلَكة اللغوية. (و ـ على سبيل المثال ـ تُنتج كذلك عظمة حسنة الموضع للأذن الداخلية، وهذه الحالة للفئران أيضًا). الكيفية مجهولة، لكن هذا ينطبق على نطاق واسع من الأسئلة الأبسط كذلك. المقولة المبسطة أن اللغة فطرية بالنسبة للبشر تعني شيئًا من هذا القبيل. على نحو مماثل، نقول بأن نمو الذراعين أمر فطري بالنسبة للبشر كما الأجنحة بالنسبة للطيور.

الآن ثمّة سؤال قد يطرح حول ما إذا كانت الفطرية في اللغة محصورة في المَلَكة اللغوية، أم أنها مجرد مزيج من نوع ما لجوانب أخرى للذهن. هذا سؤال تجريبي ولا يوجد أي مسوغ لأن تكون متزمتًا بشأنه: ابحث وانظر، يبدو بأن ما نجده هو أنها محصورة فيها. ثمة خصائص للمَلَكة اللغوية ليست موجودة في مكانٍ آخر، ليس في الذهن البشري فحسب، بل حتى في عضويات أحيائية أخرى على حد علمنا.

على سبيل المثال، أكثر الخصائص أوليَّة للمَلَكة اللغوية هي خصيصة اللانهائية المُتمايزة: تجد جُملًا مكونة من ست كلمات، أو جُملًا مكونة من سبع كلمات، لكنك لا تجد جملًا مكونة من ست كلمات ونصف.

فضلًا عن ذلك، لا يوجد حد: يُمكنك أن تجد جُملًا مكونة من عشر كلمات، أو عشرين كلمة إلى آخره إلى ما لا نهاية. هذه هي خصيصة اللانهائية المُتمايزة. هذه الخصيصة مجهولة تقريبًا في العالم الأحيائي. ثمّة الكثير من الأنظمة المُتصلة، والكثير من الأنظمة المحدودة، لكن حاول أن تعثر على نظامٍ لا نهائي مُتمايز واحد! الشيء الآخر الوحيد الذي يعرفه الكل هو القدرة الحسابية التي قد تكون تشعبًا من نوعٍ ما للمَلكة اللغوية[1]. كلما تعمَّقت أكثر كلما بدا الأمر صحيحًا[2].

عندما تصل إلى أسئلة كالتي نناقشها هنا، سيبدو بأنه لا وجود لشيء مماثل في العالم الأحيائي حتى على مستوى - ربما - الحمض النووي الصبغي «DNA» أو مستوى آخر قريب منه، حيث يغدو حديثك عن الكيمياء الحيوية في الحقيقة. فيبدو أيضًا أن اللغة ليست فطرية فحسب، بل خاصة بالبشر في جوانب أساسيّة. سأفترض بأن هذا المقصود بـ «مُتداخلة» في السؤال: مُتداخلة مع أشياء أخرى، إنها شيء داخل في نظام له خصائص أخرى. هذا ما يقودك إليه البحث التجريبي. لو أن هناك شخصًا ما يستطيع التفكير بتفسير آخر لهذه الحقائق؛ فسيكون من الممتع سماعه، لكن لا توجد أطروحات أخرى؛ فلا يوجد شيء لكي يُناقش.

المشكلة هي اكتشاف إلى أي حد خصائص اللغة واستعمالها خاص بهذا النظام. بناء على ذلك قد نسأل عن ما إذا كان كل من اللسان والأسنان كُيِّفا على نحو خاص لاستعمال اللغة بطريقة من الطرق، أو أنهما تطورا بشكل منعزل عن اللغة. تتضارب الآراء، لكن في بعض الأمور (مثلًا،

(1) انظر: Hurford (1987) لنقاش حول اللغة والأرقام.

(2) انظر: Premack (1986) عن هذه القضايا، وقضايا ذات صلة، أيضًا Pinker (1995)، الفصل 11.

نزوح فك الزواحف إلى الأذن الداخلية) تبدو الإجابات واضحة. يشك بعض العلماء الرصينين الذين يدرسون تحليل الكلام والإدراك بوجود أي تكيفات مخصوصة للأنظمة الحسية الحركية مع اللغة، آخرون يخالفونهم الرأي[1].

فيما يخص المشكلة الأعوص للمستويات التمثيلية، توجد أيضًا آراء متضاربة وأفكار مثيرة للاهتمام، لكن كما يتوقع، ما هو مفهوم أقل بكثير. افترض على سبيل المثال أن شخصًا يعتقد بأن تعبيرًا ما في لغة طبيعة مُموضع في «فكر اللغة» (ف.ل)[2]. يجب أن تحدد بعض خصائص التعبير مع أي تعبير من ف.ل تم موضعة التعبير اللغوي. ما جوانب تأويل التعبير التي تُعتبر جزءًا من المَلكة اللغوية، وما الجوانب التي تنتمي إلى «دِلالة ف.ل»؟ ثمّة تخمينات، لا أكثر من ذلك.

سؤال: على ذِكر جَلب «المقارنات (القياسات التمثيلة؟)» للتفسير[3]، هل مفهوم «عضو» للغة مفهوم وصفي أم تمثيلي (=قياسي)؟ لست مُطّلعًا، لكن يخطر على بالي حديث علماء النشوء الحيوي عن «الدماغ المتحرك» في مقابل نظرة الدماغ بوصفه عضوًا (مركزيًا) مُتحكمًا. وكعالم اجتماع، اشتغل بعيدًا عن مفهوم المركز (المساوي للسلطة). هل يعني لك ذلك أي شيء من وجهة نظرك؟.

تشومسكي: السؤال التجريبي هو فيما لو كان هناك عنصر من الدماغ (ومن المحتمل أنظمة أخرى للجسم) مخصص للغة. لو كان ذلك

(1) انظر: Lieberman (1975) لنقاش مُبكّر حول الأسس التطوريّة للكلام الإنساني. انظر: Pinker (1995: chapter 11) لمراجعة لمادة قريبة العهد من وجهة نظر مختلفة.

(2) انظر: Fodor (1975) لبيان كلاسيكي لهذه الفرضية.

(3) ربما في بال السائل تشبيه القرد المتجول الذي نُوقش في المحاضرة.

كذلك؛ يُمكننا أن نطلق على ذلك النظام الفرعي «عضو»، كما في الاستعمال المتعارف عليه (الغير دقيق مع ذلك)، وهذا استعمال موجود حتى في الأدبيات التخصصية[1]. لن نخسر شيئًا عظيمًا [إذا قلنا ذلك]. لا يوجد أي داعٍ أيضًا لتقديم روابط مضمَّنة حول السلطة، كما لا يوجد داعٍ لذلك إذا اكتشفنا أن أجزاءً من القشرة الدماغية تتحكم في حركة أصابعي أثناء كتابتي. بنية العضويات هي ما هي عليه، وعلينا محاولة فهمها قدر استطاعتنا.

سؤال: ماذا عن نموذج منطقة بروكا ـ غير الدقيق في واقع الأمر ـ والتضمينات التي يحملها بالنسبة لـ «موقع» المَلكة اللغوية؟.

تشومسكي: بغض النظر عن التباسها وتغيراتها، عُرِّفت منطقة بروكا بما يكفي لكي تُدرس على نحو مثمر لسنوات عديدة، وعادة ما يُفترض عمومًا بأنها أحد أجزاء الدماغ الذي له علاقة في استعمال اللغة. ستنتج التقنيات غير التدخليّة التي أصبحت متوفرة الآن فهمًا أفضل للطرائق التي يكون للغة فيها علاقة بالمعرفة واستعمال اللغة «العضو اللغوي» واشتغاله. حتى الآن، تبقى هذه الأسئلة أسئلة محيرة[2] ينبغي أن نضع في اعتبارنا أيضًا المعنى غير التخصصي الذي يُستعمل فيه مصطلح «عضو» في علم الأحياء، لا يتوقع أحدهم بأنه سيعثر بالضرورة على «موقع»، المقصود بالمصطلح هو تركيز انتباهنا على ما يظهر أنه عناصر أنظمة مُعقدة، لها خصائص ووظائف قابلة للتشخيص. النقاش التخصصي الذي يشير إلى جهاز الدورة الدموية أو جهاز المناعة على أنها «أعضاء» لا يقتضي ضمنًا أن في الإمكان قطعهما من الجسد، تاركًا ما تبقى من غير أذى.

---

(1) انظر: Chomsky (1980, chapter 6) لعرض جَزل لمفهوم المَلَكة اللغوية بوصفها عضوًا.

(2) لاستطلاع مشهور حول هذه القضايا، انظر: Gardner (1975).

سؤال: ما الفرق بين ج.ا.ل، جهاز اكتساب اللغة، وبين النحو الكلي؟.

تشومسكي: لا فرق. إنهما طريقتان مختلفتان للنظر في شيء واحد. النحو الكليّ هو الاسم المعطى لنظرية الحالة الأولى للمَلَكة اللغوية. ج.ا.ل هو اسم آخر للحالة الأولى، لكن منظورًا لها من وجهة نظر مختلفة. بالتالي لا يوجد فرق.

سؤال: ما طبيعة جهاز اكتساب اللغة؟.

تشومسكي: حسنًا، أيًا كانت طبيعة اللغة، فهي تلك. وفقًا لأحد النماذج ـ الذي يفترض بأنه في غاية التبسيط ـ إذا فهمنا مبادئ ووسائط اللغة؛ فسنفهم ما هو جهاز اكتساب اللغة.

إنها شيء له هذه المبادئ، وعليها تثبيت هذه الوسائط، وعندما تُثبَّت؛ فستحصل على اللغة. عمومًا، «جهاز اكتساب اللغة» هو ما يتوسط بين الحالة الأولى للمَلكة اللغوية، وبين الحالات التي يُمكنه تحقيقها، وهذه طريقة أخرى لقول أنه وصفٌ للحالة الأولى.

سؤال: هل يوجد تعارض بين الادعاء القائل أن اللغة مُحددة جينيًا وبين القول بأنها مثل الجهاز البصري الذي يتطلب محفزًا (=مؤثرًا) خارجيًا؟.

تشومسكي: لا، لا يوجد تعارض. لنضرب مثلًا بالجهاز البصري: لم يكن هذا معروفًا قبل أربعين عامًا، لكن من المعروف الآن أنّ الجهاز البصري للثديات ـ بما في ذلك نحن ـ له صيغة في غاية التعقيد مُحددة جينيًا، لكن ما لم يُقدَّم لها محفِّز خارجي ملاءم خلال فترة مبكرة في مرحلة الرضاعة (ببساطة: محفِّز نموذجي)؛ فسوف يتلف الجهاز، لن يعمل. بالتالي يحتاج إلى محفِّز لكي يعمل. فضلًا عن ذلك، نوعية المحفِّز التي يتعرّض لها سوف تُعدِّل تعديلًا طفيفًا من كيفية عمله.

هذه هي التجربة البسيطة في الموضوع[1]: للقط جهاز بصري مُشابه إلى حدٍ بعيد بجهازنا البصري؛ فبالتالي ستكون النتائج نفسها تقريبًا. لو أخذت قطة، هُريرة، وقمت بخياطة عينيها مغلقةً (حتى لا يصلها أي محفِّز)، وعلَّقت إلكترودات (أقطابًا كهربائية) على القشرة المُخطَّطة، سيكون في مقدروك رؤية تلف البنيات المحددة أحيائيًا بعد بضعة أسابيع. لو أخذت قطة ووضعت شيئًا مثل نصف كرة طاولة على عينيها (حتى يصلها الضوء بشكل منشور لكن من غير نماذج محددة)؛ فستحصل على نفس النتيجة. في المقابل لو منحتها نماذج متغيرة من المحفِّزات؛ فسيعمل الجهاز. لو منحتها محفِّزًا نموذجيًا يحتوي على خطوط عمودية فقط؛ فسيكون لها توزيع خلايا مختلف في القشرة المُخططة مما لو منحتها محفِّزًا نموذجيًا ذا خطوط أفقية. فتبدو وكأنها لغة أخرى، لو أردت أن نصيغها بهذه المصطلحات، سيكون لها حالة مختلفة اعتمادًا على نوع المحفِّز النموذجي الذي تعرّضت له. فبالتالي، لا ريب في هذا: في الجهاز البصري للثديات (حيث يمكنك إجراء التجارب)، تعتبر أنواع محددة من المحفِّزات في مرحلة معينة من مراحل الحياة ضرورة لكي يعمل الجهاز، وثمّة تنوع ما في طريقة عمله تعتمد على نوع المحفز.

مما نعرفه حتى الآن، اللغة شيء شبيه بهذا. لأسباب أخلاقية لا يُمكنك أن تجري تجارب مُشابهة في هذه الحالة؛ لذلك لا نعلم ذلك علمًا يقينًا. لا تُجري تجاربًا على الرُضَّع بهذه الطريقة؛ إلا لو كان جوزيف مينغليه[*] بالقرب منك مثلًا. سيفرح بإجراء تجارب على الرُضَّع، الأمر الذي قد

(1) انظر: Hubel and Weisel (1962).

(*) طبيب ألماني اشتهر بإجراء تجارب طبية على البشر والأطفال، في مجال الوراثة، في المعسكر النازي أوشفتز.

يجاوب على هذه الأسئلة. لحسن الحظ، هو ليس بجوارك، إلا أنه ينبغي عليّ أن أقول، كان يُعتبر ذلك أمرًا عاديًا خلال فترة ليس بالبعيدة في تاريخ الطب (تُكتم على تجارب شنيعة في الجامعات الطبية). لكن في الواقع لا يُمكنك أن تجري مثل هذه التجارب الآن. لذلك لا نعلم الإجابات علمًا يقينيًا، لكن هي نفسها على الأرجح: ستحتاج إلى أنواع مُعينة من المحفِّزات لكي تجعل الجهاز يعمل، ويبدو أن أنماط تلك المحفزات تعدِّل تعديلًا طفيفًا على كيفية عمله، مثلًا، الهندية إزاء الإنكليزية. يبدو بأن الأمر يُشابه ذلك إلى حد ما.

ثمّة سؤال في غاية الأهمية فيما إذا كان للأطفال الذين ينشؤون في عزلة (فلا يسمعون لغة ما أبدًا) يطورون لغة ما. [مقاطعة من الجمهور]. المعذرة؟ حسنًا، مثال الأطفال المتوحشين (wolf Children) ليس مثالًا مناسبًا. توجد حالات طبيعية لأطفال نشؤوا في عزلة. تكمن المشكلة في هذه الحالات أن هؤلاء الأشخاص مضطربون نفسيًا ويعانون من مشاكل جمّة إلى درجة لا تعرف ما يُمكنك استنتاجه فيما يتعلّق باللغة.

أفضل حالة تمت دراستها كانت لفتاة سُميت «جيني»، يوجد كتاب عنها[1]. عُثر عليها محبوسة في العليَّة عندما كانت في الثانية أو الثالثة عشر. لها أب مجنون حبسها عندما كانت ذات عامين، على ما أذكر. كانت مربوطة بكرسي، وكان يُحضر لها الطعام بين الحين والآخر، حتى تبقى على قيد الحياة. لكن يبدو بأنها لم تسمع أي لغة بعد عامها الثاني، عدا بعض ما يأتيها من النافذة ربما. عثر عليها موظف خدمة اجتماعية وأخرجها، وضعت في مشفى وحاول الناس مساعدتها.

---

(1) انظر: Curtiss (1977) لمعرفة القصة الكاملة.

أجريت دراسة أيضًا حول ما يُمكنها أن تفعله، وثمّة نتائج مثيرة للاهتمام. لكن الإشكال هو أنك لا تعرف بالضبط ما تعنيه هذه النتائج؛ لأنها - كما يُمكن أن تتوقع - كانت مضطربة نفسيًا. كان هناك الكثير من الاضطراب النفسي إلى درجة لا يُمكنك أن تُميّز معها أي جزء تحديدًا عيب لغوي. لم يكن في مقدورها قط اكتساب أي شيء يماثل القواعد النحوية. كان في إمكانها أن تتواصل إلى حد ما، لكنها لم تتعلم أي شيء يشابه البنيات النحوية. لكنك لا تعرف بالضبط ما يعنيه هذا بسبب وجود اضطراب عالٍ. الأمر أشبه ما يكون بأخذ حاسوب وضربه بالمطرقة وتحطيمه، ومن ثم محاولة اكتشاف كيفية عمل الحاسوب. ليست هذه هي الطريقة التي تُجرى بها التجارب.

على الجانب الآخر، توجد حالة وحيدة لتجربة طبيعية تُسلِّط بعض الضوء على هذا السؤال. تتضمن التجربة ثلاثة أطفال صم، لهم صلة قرابة على ما أظن؛ فكانوا يلعبون معًا كثيرًا. استحوذ على عقول آبائهم فكرة مؤسفة (كانت هي الرأي السائد، لكنها لم تعد كذلك) وهي أن لغة الإشارة سيئة للأطفال الصم؛ فحاولوا تعليمهم قراءة الشفاه. لُقن آبائهم هذا الاعتقاد إلى درجة أنه قيل لهم لا تقوموا بأي إيماءة للأطفال. فلا تقوموا بفعل إيماءات باليد لأن هذا سوف يعلمهم لغة الإشارة. ويبدو بأن الآباء أخذوا هذا بجدِّية صارمة. بالتالي لم يسمع الأطفال أي شيء؛ لأنهم صم، ولم يروا أي شيء بطريقة الإيماءات أو لغة الإشارة.

على الرغم من ذلك، عُثر أن ثلاثتهم اخترعوا لغة الإشارة الخاصة بهم. لم يعرف الآباء بذلك لأن الأطفال استعملوها فيما بينهم فقط. عندما أُكتشف ذلك، بدأ عدد من علماء النفس الرصينين - ليلا غليتمان (Lila

Gleitman) وتلامذتها ـ بدراسة الحالة بعناية[1]. تبيّن أن النظام الذي اخترعوه مثير للاهتمام جدًا. لقد كان مشابهًا باللغة الإنسانية العادية إلى حدٍ بعيد، لقد كان أشبه ما يكون بلغة إرغتية (Eregative) ـ مطلقة[2]، وكان لهم نفس مستوى التطور والتعقيد الذي للأطفال في البيئات الطبيعية. فبدا أنهم طوّروا لغة عادية من خلال صياغتهم الخاصة، بالتأكيد. انتهت التجربة عند هذا الحد؛ لأنه حالما عثر عليهم عُلِّموا لغة الإشارة. هذه هي الحالة الوحيدة المُسجلة التي يبدو بأنها تُظهر أنه لا تدعو الحاجة كثيرًا إلى مُحفِّز لتحفُّز التطور الذهني للغة طبيعية. يُمكن الإجابة عن العديد من الأسئلة المطروحة الهامة من خلال تجربة مباشرة، لكن طبعًا تُنحى جانبًا بناءً على خلفيات أخلاقية؛ إذن يجب اتخاذ مقاربات غير مباشرة بشكل أكبر.

سؤال: هل جهاز اكتساب اللغة واحد أم متعدد؟ هل يُمكن استعماله مجددًا مع لغات ثانية وأجنبية؟ ماذا عن اكتساب اللغة في مرحلة حياتية متأخرة؟.

تشومسكي: هذا يعود بنا إلى السؤال الذي طُرح آنفًا. يبدو صحيحًا قول أن الناس في الهند أو أي مكانٍ في العالم ـ باستثناء أجزاء من أوروبا الغربية والولايات المتحدة واليابان وأماكن أخرى قليلة ـ عادةً ما يعرفون الكثير من اللغات المختلفة. ينشئ الأطفال في معظم التاريخ الإنساني، وفي أغلب أجزاء العالم اليوم، على التحدث بلغات متنوعة. على سبيل المثال: لو ترعرعت في غرب أفريقيا، قد تتحدث أمك بلغة ووالدك

---

(1) انظر: (Gleitman (1995، أيضًا: (Carol Chomsky (1986.

(2) اللغة الأرْجاتيّة هي التي يكون فيها فاعل فعلٍ لازم، ومفعول فعلٍ مُتعدٍ لهم نفس حالة الصُرفة الإعرابية. لتفسير لهذا بمصطلحات أدنويّة، انظر: (Chomsky (1995b, chapter3.2.

بلغة ثانية، ويتحدثان معًا بلغة ثالثة، وخالتك تتحدث بلغة رابعة إلى آخره من دون حدود معروفة. هذه هي الحالة الطبيعية للبشر. في الواقع، في منطقة مثل الولايات المتحدة حيث أُبيد أغلب السكان الأصليين، وجاء مستوطنون قادمين من مكان واحد أصلًا؛ فستحصل على مفهوم مزيف للتجانس، لكن هذا لأسباب تاريخية فحسب.

على أي حال، حتى في الولايات المتحدة، فكرة أن الناس يتحدثون بلغة واحدة غير صحيحة البتة. كل شخص ينشئ على سماع لغات عديدة. تُسمى أحيانًا «لهجات» أو «تنويعات أسلوبية» أو أيًا كانت التسمية، لكنها لغات مختلفة في واقع الأمر. كل ما في الأمر أنها قريبة من بعضها بعضًا إلى درجة أننا لا نتكبَّد عناء تسميتها لغات مختلفة. بالتالي ينشئ الجميع في بيئة متعددة اللغات. أحيانًا تتضمن البيئة متعددة اللغات على أنظمة لا تشابه بعضها إلى حد بعيد إلى درجة نُسميها لغات مختلفة. لكن المسألة مسألة اختلاف في الدرجة، وليست مسألة نعم أو لا. لذا فنحن نعلم بأنه بغض النظر عن ماهية المَلكة اللغوية، يُمكنها أن تحقق حالات مختلفة بالتوازي، ولا نعلم كم عدد هذه الحالات المختلفة. يبدو أن الأطفال قادرون على اكتساب عدد كبير من اللغات تختلف اختلافًا جذريًا عن بعضها بلا عناء ودون إدراك أيضًا. أحيانًا لا يعرفون أنهم يتحدثون بلغات مختلفة حتى يبلغوا الرابعة أو الخامسة من العمر. يبدو هذا جزءًا طبيعيًا من النشوء.

أيًا ما يكن الأمر؛ فذلك سؤال معقَّد. السؤال الأسهل هو كيفية اشتغالها في وضع أحادي مُنتظم. حالما يُفهم ذلك فهمًا يزيد أو ينقص، عندها فقط يُمكن للشخص أن يأمل بفحص السؤال الأصعب: كيفية اشتغالها في وضع غير ـ أحادي مُنتظم. السؤال الأسهل صعبٌ بما فيه الكفاية.

ماذا عن اكتساب اللغة في مرحلة حياتية متأخرة، مثل لو أردت أن

أتعلم اللغة الهندية على سبيل المثال؟ هذه قصة مختلفة. السبب وجود على ما يظهر أنه فترة مفصلية لاكتساب اللغة كما هي حالة أغلب الوظائف الحيوية الأخـرى، وهذه الفترات قد تتفاوت. خذ الجهاز البصري على سبيل المثال. لا تُجرى التجارب على البشر، لكن الناس يجرون التجارب على القطط والقردة. فلو منعت قردًا من التعرض لمحفِّز بصري نموذجي لأكثر من بضعة أسابيع بعد ولادته؛ فسيتلف الجهاز ببساطة. يجب أن يتعرض إلى محفِّز نموذجي في تلك المرحلة، وإلا فلن يعمل. في حالة الإنسان، عليه أن يتعرض إلى محفِّز بصري كافٍ لكي يرى بعينيه في حدود أربعة شهور، وإلا لن يرى أبدًا. كل خصيصة أحيائية معروفة لها فترة يجب أن تُفعَّل فيها، بعد تلك الفترة، ستنخفض قابلية تفعيلها بحدة عالية، أو ربما قد تختفي.

على الأرجح بأن اللغة لها نفس الحالة. يسهل معرفة ذلك في حالة الجهاز البصري، ويعود السبب في ذلك إلى أننا نسمح لأنفسنا بتعذيب القطط والقردة. فالبشر يجرون التجارب على القطط والقردة، وإذا أجريت تجاربًا؛ فسيمكنك الحصول على إجابة بسرعة عالية. كان الأطباء يفعلون ذلك، لكن هذه الأيام ـ على الأقل نظريًا ـ لا نعذِّب البشر. أنت لا تُجري تجاربًا مضبوطة على البشر، لحسن الحظ. يُصعِّب هذا الحصول على إجابات. علينا أن نتوصل إلى طرائق غير مباشرة للحصول عليها. لكن توجد أدلة غير مباشرة بما فيه الكفاية لكي تُشير إلى أن هناك نقطة انفصال لقدرة اكتساب اللغة في حدود السادسة أو السابعة أو الثامنة (في تلك الحدود)، وثمّة نقطة انفصال أخرى حول فترة البلوغ. هذان التغيران، أيًا كانا، يُقيِّدان قابلية اكتساب لغةٍ ثانية إلى حد بعيد. عندما تتخطى عمرًا معينًا، يُمكنك أن تكتسبها، لكن تكون عادة كنوع من الإضافة على لغة

اكتسبتها قَبلًا. أحيانًا يكون ذلك الاختلاف في غاية الدقة. يتوجب عليك إجراء تجارب لإظهاره، لكنه يبدو صحيحًا. هذه أسئلة مهمة ومثيرة للاهتمام لكنها صعبة، ويوجد أيضًا قدر ملحوظ من التباين الفردي في اكتساب اللغة في مرحلة حياتية متأخرة، وهو أمر غير مفهوم بشكل جيد.

سؤال: هل من الممكن ولادة أطفال ثنائي اللغة أو ثلاثي اللغة من زواج مختلط؟.

تشومسكي: لا يشكل ذلك أي فرق، هذه أمور مُستقلة تمامًا. الأمر أشبه ما يكون بسؤال: هل يمكن الحصول على أطفال بأذرع طويلة من زواج مختلط؟ أو باهتمام في الفلسفة الإغريقية؟.

نظرية اللغة

سؤال: هلّا توسعت في نظرية الشعاع الكوني التي تحدثت عنها في المحاضرة؟ كيف ثُبتت مبادئ اللغة في المادة الجينية للقرد المتجول؟.

تشومسكي: بقولك نظرية الشعاع الكوني، أظنُّك تُشير إلى الحكاية المُتخيَّلة عن تطور البشر، التي عُرضت في المحاضرة لتساعد في توضيح بعض الأسئلة، لكن ليس لكي لتؤخذ على محمل الجد (مثل أغلب الحكايا الأخرى المعروضة). ولأكون أكثر دقّة: النظرية التي مفادها أنه في زمنٍ مضى كانت هناك رئيسات لها نسق حسي حركي ونسق تصوري - قصدي مشُابهة إلى حد بعيد بما لدينا، لكن من دون مَلَكة لغوية، وأحدثَ حدثٌ طبيعي ما طفرة وراثية ثبتت المَلَكة اللغوية. لنقل بأنه شعاع مطري كوني، أو شيء مشابه وقع خلال فترة أطول، مثل العمليات التي تسببت في انزياح عظمة فك الزواحف إلى الأذن الداخلية، بحيث تكون مصممة

لاستعمال اللغة بشكل رائع، على ما يبدو أن هناك شيئًا ما كان يجري لما يقارب 160 مليون عام كنتيجة ميكانيكية لنمو الجمجمة في الثديات المبكرة، كما تقول بذلك أعمال نشرت مؤخرًا. الحكاية المُتخيَّلة ليست إلا طريقة من الطرق غير التخصصية لإثارة الأسئلة المطروحة في البرنامج الأدنوي.

كيف دخلت المبادئ الأساسية في البرنامج الجيني؟ أسئلة كهذه أبعد بكثير من مستوى الفهم الحالي، ليس فيما يخص اللغة فحسب، بل حتى بالنسبة لأنظمة أحيائية أبسط من ذلك بكثير.

سؤال: ألا يستلزم القول بالاستعمال اللامحدود لوسائل محدودة تناقضًا؟ أليس نموذج الإمكانية اللامحدودة في عضو محدود متناقض أصلًا؟.

تشومسكي: كانت هذه إشكالية حتى قرن تقريبًا. أحد أهم اكتشافات الرياضيات الحديثة بأن ذلك ليس تناقضًا. ثمّة معنى مترابط منطقيًا في مفهوم الاستعمال اللامحدود لوسائل محدودة. هذا ما صار يُعرف بنظرية التحسيب، ونظرية وظيفة التكرار إلى آخره[1] إنه اكتشاف عظيم للرياضيات الحديثة فُسِّر به أفكار تقليدية. وُجدت أفكار أشبه ما تكون بالأفكار البديهية مثل هذه، لكنها لم تُفسَّر حقًا إلا في وقت قريب، لم يحدث ذلك حقًا إلى منتصف القرن العشرين تقريبًا. إذن، نعم، تبدو كتناقض، لكنها ليست كذلك ببساطة. يوجد تفسير غير متناقض لها بسيط للغاية، لا يمكنني توضيحه هنا.

سؤال: ما الذي يعتبر مثالًا لمبدأ في مقاربة المبادئ والوسائط؟.

(1) انظر: Turing (1950)، أيضًا: .Boolos and Jeffrey (1974).

تشومسكي: المبدأ الذي ذكرته في المحاضرة، أن السِمات غير المُؤولة يجب أن تمحى قبل التمثيل الدلالي (وإلا ستكون غير مقروءة)، والطريقة الوحيدة التي يُمكن أن تُمحى بها الأشياء تكون من خلال حذف في نطاق محلي ضيق، يبدو هذا مبدأً كليًا، له نتائج في الكثير من الأشياء. على سبيل المثال، السؤال التخصصي المطروح توًا[1]، له نتائج لذلك. ينطبق هذا عَبر التراكيب واللغات، على ما يظهر، لو كان ذلك كذلك؛ فهو مبدأ. مبادئ المحليّة الأخرى هي مبادئ كذلك.

كذلك المبادئ المطروحة بما في ذلك نظرية (س ـ خط)، ونظرية الربط، وشرط التحكم المكوني في السلاسل، ونظرية كايني «المسار غير الملتبس» وتطوراتها حتى «نظريات القوقعة» اللارسونيّة، ونظرية ريزي «الأدنويّة المُنَسوبة»، وغيرها وغيرها. الأدبيات التخصصية مليئة بها، وهي تتغير باستمرار، كما ينبغي لها أن تفعل[2].

دراسة اللغة دراسة عتيقة، تعود إلى الهند واليونان التقليديتين. لكن أسئلةً كالتي يُبحث فيها الآن لم تكن مُتخيلة، ولم يُمكن طرحها حتى وقت قريب جدًا. والنظام معقَّد بحيث لا يُتوقع الوصول إلى إجابات راسخة وبعيدة المدى في أي حقل من حقول البحث التجريبي. مشكلة إضافية في هذه الحالة هي التجارب الواضحة ـ التي يُمكنها الإجابة عن أسئلة عديدة بسرعة ـ محظورة بناءً على أسباب أخلاقية؛ فمن الضروري

(1) انظر: مناقشة ذلك قرب نهاية المحاضرة عند حديثه عن النَقل لفحص السِمة (على سبيل المثال: مَحو الحالة (الإعرابية) لسِمة الأسماء).

(2) انظر: Radford (1988, 1997) لمقدّمة (متخصصة للغاية) لهذه الأفكار التي لا يُمكن فهمها إلا بعد اشتغال كافٍ. يحتوي أيضًا الفصل الأول من Chomsky (1995b) على وصفٍ مختصر لهاته الأفكار.

مواصلة البحث باستخدام طرق غير مباشرة أكثر من تلك المستخدمة في دراسة الجزيئات المُعقَّدة أو الجهاز البصري للقطة.

سؤال: هل تقول بأن اللغة «وسط» في «كمال»ـها بين الأنظمة الطبيعية والصورية؟ هل هذا حصيلة «حداثتـ»ـها، أم نتيجة تعقيد ما تفعله؟.

تشومسكي: الإشارة إلى «كمال» اللغة له علاقة بالأسئلة التي دخلت جدول أعمال البحث في فترة قريبة، ولا تزال مفهومة على نحو هزيل، لكنني أعتقد بأنها ذات معنى تجريبي وربما مهمة. السؤال مطروح بناءً على أساس (معياري إلى حدٍ ما) افتراضات تجريبية معينة، ببساطة: أن هناك مَلكة مخصصة للغة «تواجه(=تصل بين)» أنساق أخرى (خارجية)، أنساق تستعمل المعلومات التي منحتها إياها المَلكة اللغوية لإنجاز أفعال مختلفة. يُمكن لهذه الأنساق الخارجية أن تتحصل على المعلومات المُقدّمة بأنماط معينة فقط، ولكي تكون قابلة للاستعمال، يجب أن تقدم اللغة المعلومات بالشكل الملائم. بالتالي، تفرض الأنساق الخارجية «شروط مقروئية» («شروط الخرج العارية»، ش.خ.ع)[1] على المَلكة اللغوية، ويمكننا أن نسأل ما مدى جودة تصميمها حتى تفي بهذه الشروط؟، إلى أي حد تعتبر خصائص المَلكة اللغوية «أفضل حلول» ل ش.خ.ع فقط، من دون تقديم أدوات تقنية معقدة مستقلة غير مطلوبة من هذه الشروط حتى تتحصل على المعلومات؟ الأسئلة غير دقيقة مبدئيًا، لكن يُمكن صقلها بعدة طرق كما تمت مناقشة ذلك في الأدبيات التخصصية الأخيرة، التي تفحص النتائج التجريبية لتبني صيغ من الأطروحة العامة التي تقول أن اللغة تقارب «الكمال» بهذا المعنى.

(1) انظر: الهامش (1) ص 46 من اللغة وتصميمها (المحاضرة).

الأنظمة الصورية حكاية مختلفة تمامًا. هي أدوات صممت لهذه الغاية أو تلك، ومدى جودتها أو رداءتها يعتمد على تحقيقها لهذه الغايات. لا أرى أساسًا هامًا لمقارنتها بالأنظمة الأحيائية. أيضًا لا توجد قضية تخص «حداثة» «recentness» معينة. تُطرح الأسئلة بنفس الطريقة كيفما كانت الحالة الحالية التي وصلت إليها المَلكة اللغوية.

سؤال: تخلى البرنامج الأدنوي عن تعابير مختلفة، مثل: «تلاق»، و«انفجار»، و«دمج»، و«إرجاء»، و«جشع»، أليست هذه تعابير مجازية تمت استعارتها من الفكر السياسي؟.

تشومسكي: لو كان ذلك كذلك، فلا علم لي به. «تلاق» و«انفجار» أتيا من الرياضيات ونظرية التحسيب، «دمج» هي أبسط طريقة يُمكنني التفكير فيها لقول أن شيئين اجتمعا ليُشكّلا شيئًا أكبر، و«إرجاء» أشبه ما تكون بشبه نُكتة للإبقاء على الأشياء حيوية ومفهومة. ينطبق الأمر نفسه على «جشع». لا أعتقد بأن اختيار المصطلحات يعني أي شيء.

سؤال: مُنح ترتيب المكونات التركيبية من اليسار إلى اليمين أهمية مركزية، ودورًا متكاملًا في البرنامج الأدنوي أكبر من السابق. هل هي متأصلة بشكل مركزي في هندسة المَلكة اللُغوية، أم هل هي أقرب ما تكون إلى المكون الوجيهي فرضته اعتبارات الترتيب الحسي الحركي والمفهومي ـ القصدي؟.

تشومسكي: هذا موضوع بحث هام. إحساسي يقول بأنه لا وجود لترتيب من اليسار إلى اليمين. إذا نظرت في تركيب النسق التوليدي (النسق الذي يأخذ الوحدات المعجمية ويضعها معًا لتُشكل وحداتٍ أكبر، وينجز عمليات عليها وينتهي بتقديم تمثيلات دلالية)، إذا ألقيت

نظرةً على هذه العمليات نزولًا إلى وجيهة الأنساق المفهومية ـ القصدية، يبدو بأنها لا تمتلك ترتيبًا من اليسار إلى اليمين. في الحقيقة يبدو بأنها لا تمتلك ترتيبًا على الإطلاق، كل ما تمتلكه هو علاقات سُلَّمية.

بيد أنّ الصوت له ترتيب من اليسار إلى اليمين. افتراضي هو أن ذلك فرضته الأنساق الحسية الحركية. أنساقنا الحسية الحركية محدودة، هي مُجبرة على إنتاج أشياء من اليسار إلى اليمين، بمرور الزمن. إذن، في وقت من الأوقات، هذا النسق غير المُرتّب الذي له سُلَّميّة فقط (ولا ترتيب له)، حصل على ترتيب فُرض عليه حتى يستوفي شروط مقروئية الوجيهة الحسية الحركية.

لاحظ بأنها غير ضرورية البتة. في الحقيقة، ثمّة كائنات حية لا تمتلك هذه الخصيصة. خذ الدلافين على سبيل المثال التي لها أدمغة ضخمة بالنسبة لحجمها، بخلاف البشر. للدلافين نظام تواصل مُعقَّد، يخرج من أنوفها (تصدر الدلافين الكثير من الأصوات المختلفة الغريبة)، جزئيًا هي كالسونار(*) (يجب أن يعرفوا أين موقعهم، في حالة لو أنهم سيصطدمون بشيء ما)، لكن جزئيًا تبدو نظام تواصل. يبدو بأنه يُمكن لبعض نويعات الدلافين فعل ذلك معًا عبر فتحتي أنفها. هذا يعني أن لها نمط تواصل أثرى مما لدينا، يُمكنها إصدار أصوات بالتوازي، إصدار ذي بعدين. هذا الأمر عمليّ بلا شك، ومن ثم هذه الأصوات لا تمتلك ترتيبًا من اليسار إلى اليمين. لها خرجات متوازية، قد تكون من اليسار إلى اليمين في داخل كل واحدة منهما، لكن ليس كلها من اليسار إلى اليمين. نحن لا نمتلك ذلك، لدينا قناة واحدة.

(*) هي تقنية انتشار الصوت، وتستخدم عادة في البحر لاكتشاف ما تحت الماء، وعمل الاتصال، وكشف الآثار أو الأجسام تحت البحر، وتسمى أيضًا بالكشف الصوتي، وقد كانت تستخدم قبل اكتشاف الرادار.

وعلى ذكر هذا الموضوع، إذا نظرت في لغة الإشارة، فسترى بأن ليس لها قناة وحيدة. هذا قيد «limitation» من جهازنا الحسي الحركي، ويُجبر الأشياء على أن تكون مُرتبة. لنقل مثلًا لو أننا نمتلك قدرة التواصل بالتخاطر (فبالتالي لا نحتاج أن نصدر أصواتًا)، فلن يكون هناك ترتيب كلمات في اللغة على الإطلاق. [مداخلة غير مسموعة من الحضور]. أوه، بكل تأكيد، هذا صحيح بلا ريب، لكن هذا سؤال مختلف. تذكر بأن توليد تعبير ما عملية تجريدية، أما إنتاج تعبيرٍ ما ليس الشيء نفسه، هذا شيء مختلف بالكامل. عندما تُنتج تعبيرًا ما، بالتأكيد، فهو زماني؛ لأنك تبدأ عند نقطة مُعينة ومن ثم تفعل الشيء التالي وتفعل الشيء التالي. قد تغير كما تشاء أثناء ذلك، لكن هذا ليس السؤال نفسه. عندما تغير؛ فكل ما تفعله هو إعادة توليد شيء جديد، لكن التوليد والإنتاج شيئان مختلفان تمامًا. هما مرتبطان بشكل واضح بأن على أنساق الإنجاز بلوغ نظام المعرفة؛ فبالتأكيد هما مرتبطان، لكنهما عمليتان مختلفتان. القول بأن التوليد لا ترتيب له مستقل عن حقيقة أن الإنتاج له ترتيب؛ لأننا نفعل الأشياء بمرور الزمن. هذا غير خاضع للمناقشة.

السؤال هو: هل ثمّة ترتيب في التعابير المُجرَّدة التي تُقدِّم المعلومات؟ أعتقد بأن الإجابة هي: «لا» عدا ما هو قريب من نقطة الوَجيهة الحسية الحركية. لكنّ هذه أسئلة بحثية، لا يُمكنك ان تكون حادًا وقاطعًا بشأنها[1].

سؤال: المرتكزات المحورية المُتبناة في البرنامج الأدنوي مثل:

(1) في هذه الجزئية من فقرة المناقشة، ذُكر عمل ريتشارد كاين الهام عن الترتيب الخطي في التركيب (Kayne 1994). لسوء الحظ، هذه الجزئية من التسجيل غير مسموعة بالمرّة. انظر: Chomsky (1995b: 4.8) لنقاش حول نظرية كاين.

علاقة تطابق مخصص ـ رأس، أو العلاقات المحلية، لا يُمكنها تفسير التصريفات المُتضمنة في اللغات التبتية البورمية كلغة الميزو. في لغة الميزو، في الجملة التي يُمكن أن تُنقل إلى الإنكليزية كالتالي: «زيد يريد رؤيتك» «John wants to see you»، الفعل الرَئيسِي «يريد» يتطابق مع الفاعل الرَئيسِي «جون» كما يتطابق مع المفعول به «كاف المخاطبة» في الجُملة المُدمجة «رؤيتك». في هذه الحالة، لا يمكننا وضع علاقة تطابق مخصص ـ رأس بين تطابق الجُملة الرئيسية والمفعول به في الجُملة المُدمجة. كيف تُفسِّر هذه الحقائق في النحو الكُلي؟.

تشومسكي: أفترض بأن شخصًا قال بأن مقاربة مُعينة في دراسة اللغة لا يُمكنها أن تُفسر حقيقة أن في اللغة الإنكليزية الفعل يتطابق مع مركب اسمي مدموج دمجًا عميقًا، وليس الفاعل الخاص به، في تعابير كالتالية:

«there are believed to have been several people in the room»

(يُعتقد بوجود عدَّة أشخاص في الغرفة)[1].

لا يُمكننا أن نقول بأن هذه المقولة صحيحة أو خاطئة. أولًا، علينا أن نفحص اللغة الإنكليزية بعناية، وأن نُحدد كذلك كيف يجب لهذه المُقاربة موضوع السؤال أن تُنقح مع تقدُّم الفهم. ليس لأحدٍ أدنى فكرة فيما لو كان البرنامج الأدنوي يقدم طريقة لتفسير مثالٍ مختارٍ بعشوائية من لغة ما أم لا، سواء كانت الإنكليزية أو الميزو.

(1) لاحظي أن هذا التركيب، وتركيب جملة لغة الميزو المذكور، يطرحان نفس المشكلة بشكل أساسي: يظهر كُل منهما على أنهما حالتا تطابق بين كِيانات جُمل مختلفة، وبما أنه كذلك، يظهر على أنه مثال مناقض للفكرة المقبولة التي تقول أن التطابق هو علاقة داخلية للجملة (في واقع الأمر، علاقة رأس ـ مخصص محلية). النقطة هي أن ما يظهر على أنه مثال مناقض بظاهره، قد لا يظهر كذلك بعد تحليل أقرب وأدق. لتفاصيل فيما يتعلق بما يُسمى: «بنيات (هناك) التمهيديّة» (introductory «there» constructions)،
انظر: (Chomsky 1995a, 1995b)

لا يُخص هذا اللغة وحدها. حتى في العلوم الصِّرفة، يُعرف القليل فيما يتجاوز الأنظمة البسيطة للغاية، وعلى المرء أن يُخمن فحسب كيفية إمكان مواءمة النظريات المطروحة مع ظاهرة مُحددة، أو فيما لو كانت قادرة على ذلك. هل يُمكن لقوانين الفيزياء أن تفسر حقيقة أنها تُمطر الآن؟ لا يُمكن طرح السؤال بشكل معقول على هذا النحو، وحينما يُطرح بالشكل الملائم، ستكون هناك بعض الإجابات المفاجئة بحسب أعمال علميّة أخيرة. في وقتٍ مبكر من هذا القرن، لم يكن في مقدور أحد القول بكل ثقة فيما لو أن فيزياء اليوم - التي هي الأكثر تقدمًا من أي فروع العلم الأخرى إلى حد بعيد جدًا - يُمكنها تفسير أمور بسيطة مثل الرابطة الكيميائية أم لا (لم يمكنها تفسير ذلك). اليوم، لا يُمكن لأحد أن يقول بكل ثقة فيما لو أن فيزياء اليوم يمكنها تفسير 90 بالمئة أو ما يقارب هذه النسبة من المسائل التي يُفترض صحتها في الكون. عندما نحيل بوجوهنا نحو المراحل المُبكِّرة للعلوم الصِّرفة، ستكون النتيجة أكثر درامية أيضًا.

العلم ليس حقل تحقيق المعجزات، بل هو حقل الفهم المتطور باستمرار، وهذه ليست مهمة سهلة، حتى فيما يخص ما يبدو على السطح (عادة بشكل خاطئ) بأنها أسئلة سهلة.

سؤال: يُمكن لنظرية (س - خط) التكفُّل بالجمل البسيطة بما في ذلك الاستفهامية والمبنية للمجهول. أخبرني من فضلك ما تمثيل جمل مُعقدة مثل:

«If he comes then we will go the cinema»

(لو أتى؛ فسنذهب إلى السينما)

«Though he is poor, he is honest»

(وإن كان فقيرًا، فهو أمين)

تشومسكي: يسهل تقديم تمثيلات البنيات المُركبية للتعابير، أما هل يجب أن تكون بمصطلحات نظرية (س ـ خط) أم لا؛ فهذا سؤال آخر. شخصيًا، أنا متشكك، لأسباب ناقشتها في عمل أدنوي صدر مؤخرًا[1]. السؤال هو أيها صحيح، والإجابة عن هذا السؤال بالنسبة للتعابير البسيطة ليس أسهل من التعابير المُعقَّدة. خذ على سبيل المثال:

You saw him

(أنت رأيته)

لا أسهل من عبارة كهذه. منذ أواخر الثمانينيات، أُفترض على نطاق واسع أن البنية المُركبيّة[2] تختلف اختلافًا بينًا عما افترض قبلًا، تقريبًا شيء كهذا:

IP [DP you [I' INFL [VP [you [v' See [DP him]]]]]]

إياه رأى أنت تصريفة أنت

يُشار إلى الزوج هنا بطريقة غير متخصصة على أن <أنت، أنت> «سلسلة» كوَّنتها عمليات (قد تكون عمليات مُعقدة) تُصعِّد الوُرود الأدنى

---

(1) انظر: Chomsky (1995a).

(2) هذا التمثيل على ضوء «فرضية [المركب الفعلي] م.ف ـ للفاعل الداخلي» (انظر: Koopman and Sportiche 1991). ينشأ الفاعل (مثلًا، المركَّب الحدِّي (مـ.حد) في الموقع المُخصَّص للمركب الفعلي (مخص ـ م.ف)، وتصعد إلى موقع مُخصَّص المركب التصريفي (مـ.ت) (مخص ـ م.ت)، تاركًا خلفه نُسخة في الموقع الأصل. بعبارة غير متخصصة: (مـ.حد و مـ.ت) هما الاسمان الأحدث لمفهوميّ جملة ومُركب اسمي المشابهة، تِباعًا.

في إحدى الصياغات المُبكرة، تُصاغ البِنية المُركبيّة للجملة المذكورة كالتالي:

IP [NP you [I' INFL [VP [V' see [NP him]]]]]]

إياه م.ب رأي م.ف صُرفة أنت م.س م.ت

لـ «أنت» إلى موقع أعلى، حيث يتم سماعه. ثمّة أسئلة مشابهة تُطرح حول الجُمل التي ذكرتها، والتي لا تُشكل صعوبات خاصة لتمثيلات البنية المُركبيّة. توجد أدبيات تخصصية لافتة للنظر حول هذه البنيات، على سبيل المثال، أطروحة سابين أياتريدو «Sabine Iatridou» للدكتوراة في معهد ماساشوستس قبل سنوات قريبة.

سؤال: ما هي القيمة العلاجية للبرنامج الأدنوي؟.

تشومسكي: حسنًا، لقد كان ذلك نوعًا من المزاح. ما قلته في الفصل الرابع من الكتاب «Chomsky 1995b» حتى لو لم ينجح البرنامج الأدنوي، فإن له قيمة علاجية. القيمة هي دفعك إلى التفكير حول أمورٍ اعتبرتها بديهية. لو استعملت نظرية (س ـ خط) أو البنيات السطحية أو القرائن أو العمل المناسب «Proper government»؛ فإن البرنامج يدفعك إلى طرح سؤال فيما لو كانت الافتراضات مُبررة حقًا أم لا، وفيما لو أنك تفترضها فقط من أجل ستر نقص فهمك أم لا. هذا علاجيّ: يدفعك لكي تُفكر حول أشياء يسهل تجاهلها.

للمتخصصين والمتخصصات منكم ومنكن، لو نظرتم ونظرتن في الأعمال التخصصية في المجال، لنقل على سبيل المثال محاولات تفسير «ذلك/That» مصفاة أثر، ستكتشفون أن الأطروحات السائدة المُقدمة على أنها تفسيرات لها نفس درجة التعقيد تقريبًا للظاهرة التي يُراد تفسيرها. هذه ليس تفسيرات، هي ليست أكثر من إعادة طرح المشكلة بمصطلحات أخرى[1]، قد تكون مفيدة للغاية في تمهيد الأرضية لدراسة أبعد. القيمة

(1) قُدّمت مصفاة «أثر (هناك)» في Chomsky and Lasnik (1977) لتفسير لَحن (لا نحوية) [في الإنكليزية] تراكيب من قبيل: * Who do you think that saw Mary? (من تعتقد أنه رأى ماريا)، و* John seems that saw Mary (زيد يبدو أنه رأى ماريا). على ضوء نظرية =

العلاجية لهذه المقاربة هي أنها تُخرج تلك الحقيقة، وعليك أن ترى متى تمتلك تفسيرًا أصيلًا، ومتى تمتلك شيئًا قد تخادع به نفسك على أنه تفسير. ثمّة الكثير من الحالات المشابهة. على سبيل المثال: اتضح أن الكثير من استعمالات مثل هذه الأدوات من قبيل العمل المناسب أو القرائن، اتضح أنها تفسيرات زائفة تعيد صياغة الظاهرة ثانيةً بمصطلحات تخصصية أخرى، لكنها تتركها بلا تفسير كما كانت عليه قبلها.

[هذا مثال آخر]: أحد حدوس البرنامج هو أن العمليات تحدث في أي مكان. لو كان ذلك كذلك؛ فلماذا بعض العمليات - مثل نقل (م.س) (المُركب الاسمي) - تحدث قبل التهجية والبعض بعد التهجية؟ هذا أمر تخصصي جدًا. فيما يتعلّق بنقل (م.س)، يبدو أن ثمّة اختلافًا جوهريًا. هذا اكتشاف جديد، صحيح على الأرجح. قبل سنوات قريبة، توجد أعمال تقترح أن... دعوني أرجع خطوة إلى الوراء. ثمّة مسوّغ مقبول الآن لافتراض أن المركبات الاسمية في جملة هي كلها م.ف (مركبات فعلية) داخليًا، أو، بشكل أكثر عمومية، [هي جوهريًا] محمول «Predicate» داخلي، لنفترض ذلك.

اكتشاف تجريبي قريب عهدٍ يقول: أن في المركب الفعلي الذي يتضمّن تعبير حركة (مثل الفعل المتعدي أو أي شيء له سِمة سببية أو

لأثر للنَقل: «who» (من) في المثال الأول و«John» (زيد) في المثال الثاني انتقلا من موقعيّ الفاعل الخاص بتَابع الجملتين، تاركين أثرًا وراءهما. في كلِتا الحالتين، تكونت متوالية «أثر هناك». قارن المثال الأول مع «Who do you think saw Mary» (من تعتقد رأى ماريا) الذي هو صحيح نحويًا. في الحالة النحوية الصحيحة، لا تقع «that» (هناك) المصدريّة، وبما أنها كذلك، لا يحتوي التركيب على متوالية «أثر (هناك)». تُقيّم مصفاة «أثر (هناك)» تركيب لا نحوي يحتوي على متوالية «أثر (هناك)». هذه المصفاة هي أساسًا مصادرة، و- في نظر تشومسكي - ليست أكثر من محض ذكر عبارة لظاهرة حقيقية في شكل مختلف. لتفسير عام لهذه الظاهرة انظر: Chomsky (1981, 1995b).

مُنَفِّذِية [من تنفيذ]، أي مركبٍ فعلي على هذا المنوال) شيء ما يجب أن يفلت منظوريًا (بمعنى، شيء ما يجب أن يظهر في الخارج)، شيء ما يجب أن يُمحور «Thematized». الشيء الذي يُمكن يُمحور، يُمكن أن يكون فاعلًا (محمولًا) منتقلًا إلى مُخصَّص زمن، أو يُمكن أن يكون مفعولًا (في اللغات التي تسمح انتقال المفعول) منتقلًا إلى موقع صعود مفعول المركب الفعلي، لكنّ شيئًا ما يجب أن يخرج، على ما يبدو. معنى هذا، في لغات (ف فا مف) [لغات يكون ترتيب الجملة فيها: فعل ـ فاعل ـ مفعول] أن الفاعل انتقل حقيقة إلى مُخصَّص موقع الزمن، والقول بأنها لغة (ف فا مف) بسبب حقيقة زائفة عن انتقال الفعل [إلى موقع] أعلى. هذا يعني أنه لا وجود للغات (ف فا مف) في الحقيقة، هناك لغات (فا ف مف) [فاعل ـ فعل ـ مفعول]، أو فا ـ مف ـ ف[فاعل ـ مفعول ـ فعل].

يعني هذا أيضًا ـ مثلًا ـ في لغة لها تركيب مُتعد ـ حشوي «transitive expletive» ـ مثل اللغة الأيسلندية حيث يبدو بأن كلّ الموضوعات داخل المركب الفعلي، على أحدهم أن يفلت (بمعنى أنه ليس في داخل المركب الفعلي)، على الأقل أحدهم يجب أن ينتقل، ربما المفعول.

هذا يبدو كحقيقة، ومن المثير للاهتمام محاولة شرحها. يبدو حقيقة أيضًا أن مُخصّص موقع الزمن يجب أن يكون مملوءًا بشكل ظاهر. يُسمى هذا مبدأ الإسقاط الموسَّع، يبدو خصيصة وصفية كلية للغة، على الأرجح لها صلة بنفس خصيصة المَحورَة. هاتان الخصيصتان تفرضان حالة واحدة من نقل (م. س) [المركب الاسمي] في حال كانت اللغة لا تمتلك حشوي يُمكنه ملء موقع الفاعل، وإذا كان تعبيرًا مُنفّذِيًا. يبدو أن هذا فرضته مبادئ اللغة الكلية.

ماذا عن الحالات الأخرى لنقل ـ (م. س)؟ على سبيل المثال، خذ لغة مثل الإنكليزية التي ليس لها صعود ـ مفعول ظاهر كالأيسلندية. تبيّن أن ثمّة مسوِّغًا معقولًا للاعتقاد بأن الإنكليزية لها صعود ـ مفعول، وهو ظاهر كذلك، لكن لو حدث، فإنه يجب أن يُتبع بنقل آخر. حتى يُمكن للمفعول ألا يبقى في ذلك الموقع. هذا يعني أنه في جملة مثل: «What? did John see» (ماذا رأي زيد؟)، ينتقل المفعول أولًا من موقع صعود ـ المفعول مثل الأيسلندية أو اليابانية، لكن من ثم عليه أن يتخذ خطوة أخرى إلى علاقة مخصّص مـص [مصدري] ويعود هذا إلى أسباب كلية بالكامل بالإضافة إلى فرق وَسيطي له علاقة بخصائص الزمن، خصيصة تدخل في تعميم هولومبرغ[1]، كما أعتقد. إذن، لدينا فرق وَسيطي، وخصيصة زمن تُنتج تعميم هولومبرغ، وهذا سيجعل الأمر يبدو وكأن هناك بعض اللغات لها نقل ظاهر وأخرى لا تمتلكه، لكن كل اللغات لديها ذلك. الآن، يبدو أن مجموع الظواهر هذا يحدد فيما لو سيظهر نقل م. س قبل التهجية أو لا. يبدو وكأن هناك خليطًا مُعقدًا من الظواهر، لكن إذا تأمّلتها مليًا، ستجد بأن عددها قليل، والفروق الظاهرة محدودة للغاية.

سؤال: ما هي القيود الشكليّة التي فرضتها متطلّبات المقروئية على اللغة؟.

تشومسكي: هذا موضوع بحثي، وهو متجدد ومتطور. حتى دراسة الشروط التي فرضتها الأنساق الحسية الحركية ـ التي تمت دراستها بدقّة بشكل مُكثّف لعدة سنوات ـ صعبة ومُعقدة، أنتجت نتائج هامة، لكنها

(1) انظر: Holmberg (1986)، و(Chomsky (1995b:352 ـ 3، وKitahara (1997) لقراءة شيءٍ من التحليل.

محدودة. معرفتنا أقل فيما يخص أنظمة استعمال اللغة الأخرى (تلك المعنية بالتفكير بشأن العالم، والتعبير عن أفكارنا، وطرح الأسئلة... إلخ. تُسمى أحيانًا «الأنساق التصورية ـ القصدية»). هذا موضوع بحثي تطور جنبًا بجنب مع دراسة المَلكة اللغوية نفسها. ينبغي عليَّ التشديد أنه حتى وإن كان فهم الأنساق الخارجية للمَلكة اللغوية ما زال محدودًا، ثمّة كمية كبيرة من المعلومات المتعلقة بالشروط التي تفرضها. في واقع الأمر، لطالما استعملت دراسة اللغة المعلومات التي تخص الصوت والمعنى، منذ بداياتها.

من المُفيد أيضًا استحضار أن الوضوح (النسبي) ليس مبدئيًا للبحث، بلْ بالأحرىِ النتيجة [هي المطلوبة]. تُصبح الأسئلة المطروحة أوضح كُلما تعمقت الإجابات. يوجد عدد لا يُحصى من الأمثلة في صلب العلوم الطبيعية، حتى وقتنا الحالي.

سؤال: ما هي آخر الاتجاهات في الدِلالة (Semantics)؟ وهل من المُرجَّح أنها ستتطور لتكون علمًا له وحداته (=مواضيعه) الخاصة في يومٍ من الأيام؟.

تشومسكي: هذا سؤال مهم يتعلق بتلك القضايا الجانبية المُتعلقة بالتمثيلات التي وضعتها جانبًا في المحاضرة. علينا أن نسأل ما هي الدِلالة. إذا كان المقصود بالدِلالة ما هو مذكور في البحوث التقليدية (مثلًا: بيرس أو فريجه، أو من ينسج على منوالهما) بمعنى، إذا كان المقصود بالدِلالة العلاقة بين الصوت والشيء، فربما لا وجود لها[1]

(1) يذكر تشومسكي في موضع آخر ملاحظة موجزة على نفس المنوال:
يستخدم الناس الكلمات ليُشيروا إلى أشياء بطرق مُعقدة، يعكسون الاهتمامات والظروف =

إذا كان المقصود بالدِلالة هو دراسة العلاقات مثل الفاعليّة «agency»، والمَحورة، الزمن، بنيات ـ الحدث «event ـ structures» ـ ومَحلّ الموضوعات فيها إلى آخره، فهذا موضوع ثريّ، لكن هذه هي قواعد التركيب «syntax»، بمعنى أن كل هذا جزء من تمثيلات ذهنية. ستجري باستقلالية سواء وُجد عالم أصلًا أم لم يوجد، تمامًا مثل دراسة التمثيلات الصِواتية. يُعنون هذا خطئًا بـ «دِلالة». سيبدو الأمر وكأنك أخذت الصِواتة وأوهمت نفسك معتقدًا أن الصِواتة هي دراسة العلاقة بين الوحدات الأصواتية وحركة الجزيئات، هي ليست كذلك، هذه دراسة مستقلة. الصِواتة هي دراسة تمثيلات ذهنيّة يُفترض أنها قريبة من أجزاء معالجة النظام تلك التي تحرك الجزيئات في نهاية المطاف. أغلب ما يُسمى «دِلالة» هو ـ في رأيي ـ قواعد تركيب. هي جزء من قواعد التركيب الذي يفترض أنها قريبة من النظام الوجيهي المعني باستخدام اللغة. فهناك ذلك الجزء من قواعد التركيب، وهناك بكل تأكيد التداوليات بالمعنى العام لما تفعله بالكلمات... إلخ[1]. أما فيما لو كان هناك دِلالة بالمعنى التخصصي فهو سؤال مفتوح، لا أعتقد بأن ثمّة أي مسوغ للاعتقاد بوجوده.

لكن الكلمات لا تُشير، لا وجود لعلاقة كلمة ـ شيء كما في [كل] التنويعات الفريجيّه [نسبة إلى جوتلوب فريجه]، ولا علاقة كلمة ـ شيء ـ شخص من ذلك النوع الأكثر تعقيدًا الذي قدّمه تشارلز ساندرز بيرس في عمل يساويه كلاسيكيّةً في تأسيس الدِلالة. قد تكون هذه المقاربة مناسبة إلى حد بعيد لدراسة أنظمة رمزيّة مُخترعة (التي كانت هي مصممة من أجلها أصلًا، على الأقل في حالة فريجه). لكن لا يبدو بأنها تقدم مفاهيم مناسبة لدراسة اللغة الطبيعية. (Chomsky 1996:22 ـ 3).

(1) عند هذا المستوى، ثمّة قضايا تتعلّق بكيفية استعمال الشخص للكلمات لكي يُشير إلى الأشياء في العالم، وكيف يستعمل الجمل للتعبير عن رغباته ومواقفه: على سبيل المِثال، يُمكن أن تُستخدم عبارة «ستُقدّم المشروبات عند الخامسة» بوصفها «وعد، أو توقّع، أو تحذير، أو تهديد، أو تقرير، أو دعوة» (Chomsky 1975: 65)، من بين أعمال أخرى. انظر: الهامش أعلاه.

أعتقد بأن هذا يعود إلى افتراض قديم وخاطئ على الأرجح يقول بأن هناك علاقة بين الكلمات والأشياء باستقلالية عن ظروف الاستعمال.

سؤال: هل يعلم الطفل بمقتضى معرفته بمفهوم التسلق أن هذا المفهوم يحتاج إلى مُنفِّذ ومحور لتَحقيقه؟ هل يتعلم الطفل أن مفهوم الموت يتحقق بديله في [العربية] في «مات» و«قضى أجله»؟ يُفترض أن المُكونات التصورية والحاسوبية الفطرية لها قوالب مختلفة، هل المعرفة اللغوية تقدح نوعًا من التفاعل بينها مما ينتج أن بِنيَة مَوضُوعيّة مَحمُوليّة قد وُلِّدت، والتي بعد ذلك تحولت إلى تمثيل تركيبي مألوف مملوء معجميًا؟.

تشومسكي: هذه الأسئلة قد تشير إلى كتابٍ منشور لي قبل عشر سنوات قلت فيه إن الطفل له مفاهيم مصنفة كجزء من تركيبته الأحيائية وأن عليه ببساطة أن يتعلم أن مفهومًا معينًا يتحقق بطريقة مُعيّنة في اللغة[1]. فالطفل عنده مفهوم التسلق ـ مثلًا ـ بمعنى تجريدي ما مع كل خصائصه الغريبة، وعليه أن يتعلم أنه يَنطق «تسلق»، وليس نُطقًا آخر. عمل جيري فودور الهام الذي استمر لعدة سنوات وثيق الصلة هنا، مع عمل راي جاكيندوف وغيرهما[2]. هذه أسئلة معقولة بامتياز. يُمكنك أن تحصل على أفكارٍ متنوعة بشأنها، لا يعرف الكثير عنها. يُمكنني أن أقول لك ظنّي حول ما يخص هذه الأسئلة، لكنها مواضيع بحثيّة.

ثمة سبب طاغٍ للاعتقاد أن مفاهيم ـ مثل ـ التسلق، والمطاردة، والركض، والشجرة، والكتاب... إلخ هي مفاهيم مُرسَّخة بشكل أساسي.

(1) انظر: Chomsky (1988).

(2) انظر: Jackendoff (1990), Fodor (1987).

لها خصائص في غاية التعقيد إذا نظرت فيها. هذا لم يُدرك في تأليف القواميس التقليدية. عندما تقرأ قاموس أكسفورد الإنكليزي الضخم (ذاك الذي تقرأه بصحبة عدسة مُكبِّرة)، ستعتقد بأنك تقرأ تعريف كلمة، لكن الأمر ليس كذلك. كل ما تقرأه هو بضعة تلميحات، ومن ثم معرفتك الفطرية تملء كل التفاصيل، وفي نهاية المطاف تعرف ماذا تعنيه الكلمة. حالما تحاول أن تنطق ما هو بديهي في معجمك اللغوي، ستجد بأن هذه المفاهيم معقَّدة أشد ما يكون التعقيد[1]

في الواقع كان هذا مفهومًا قبل قرون معدودة. يوجد تقليد يبتدأ تقريبًا من هوبز حتى هيوم يفحص أسئلة كهذه بشيء من الحنكة. أعتقد بأنه التقليد الذي يجب أن يمتد، له أصول أرسطية في الحقيقة، وتوازيات لافتة للنظر مع الأفلاطونيّة المحدثة للقرن السابع عشر[2]. لكن عندما تُفكر بهذه الأمور، سيتبين أن المفاهيم معقدَّة للغاية، مما يعني ببساطة أنه يجب أن توجد هناك، ومن ثم تُقدح بطريقة ما، وتعثر على الأصوات المرتبطة بها.

لكن من ثم تأتي هذه الأسئلة: إلى أي حد هذه متغيرة؟ إلى أي حد هي مُرسَّخة ومُثبَّتة؟ هل خصيصة المُنفذ ـ المحور مُثبَّتة أم مُتغيرة؟ هذا موضوع بحثي. في بعض الحالات التي نعرفها، على سبيل المثال بالنسبة لـ «مات» و«قضى أجله» فهي بكل وضوح مفروضة بشكل اصطناعي. لكن لا يُعرف يقينًا ما يتعلق ببقيّة الأسئلة.

هل المكونات الحاسوبية والتصورية قوالب مختلفة؟ صدقًا، لا يُعرف

(1) انظر: Jackendoff (1990) لتفاصيل أكثر حول هذا.

(2) انظر: Chomsky (1966, 1975, 1995c, 1997) لتعليقات حول هذا التقليد.

الكثير عن هذا أيضًا. هذا سؤال تقليدي: هل تُفكر من دون لغة؟ لو سألت إلى أي حد نعرف عن ذلك الموضوع؟، فالإجابة هي: «ليس الكثير». كل ما نعرفه، نعرفه عن طريق الاستبطان.

الآن ما يبدو لي واضحًا من خلال الاستبطان هو أنه يُمكنني التفكير من دون لغة. في واقع الأمر، في الأعم الأغلب، يبدو أنني أُفكِّر ويصعب علي نطق ما أفكر فيه. هي تجربة تحدث كثيرًا، على الأقل بالنسبة لي وأفترض بالنسبة لكل شخص حاول التعبير عن شيء ما، أن أقولها ومن ثم أدرك بأن ذلك ليس ما قصدته، ومن ثم أحاول أن أقولها بطريقة أخرى وربما أقارب ما أردت أنت قوله، بعدها يساعدك شخص ما ويقولها بطريقة مختلفة عما قبلها. هذه تجربة تحدث كثيرًا، ويصعب أن تفهم التجربة من دون افتراض أنك تفكر من غير لغة. أحيانًا تُفكِّر ولا تستطيع أن تفعلها على الإطلاق، لا تستطيع شرح لأحدهم ما تُفكر فيه. أحيانًا تصدر أحكامًا حول الأشياء بسرعة فائقة، لا شعوريًا. لو سألك أحدهم لماذا أصدرت ذلك الحكم، غالبًا ما يكون شرح السبب في غاية الصعوبة. يبدو أن تجارب مثل هذه تُشير إلى أننا نُفكِّر من دون لغة، وإذا كنت تفكر، فيفترض بأن ثمّة نوعًا من التركيب التصوري هناك. سؤال كيف لهذا علاقة باللغة هو موضوع بحثي آخر، وحتى الآن، بالكاد يُمكن لمسه، لكنه مثير للاهتمام ومهم فعليًا.

المراجع

- Barbosa, Pillar et al. (1998): Is the Best Good Enough: Optimality and Computation in Syntax, MIT Press, Cambridge.
- Barsky Robert (1997): A Life of Dissent, MIT Press, Cambridge.
- Bernstein, Leonard (1976): The Unanswered Question, Harvard University Press, London.
- Boolos, G. and R. Jeffrey (1974): Computability and Logic, Cambridge University Press, London.
- Bresnan, Joan ed. (1982): The Mental Representation of Grammatical Relations, MIT Press, Cambridge.
- Brody, Michael (1995): Lexico - Logical Form: A Radically Minimalist Theory, MIT Press, Cambridge.
- Chomsky, Carol (1986): «Analytic Study of the Tadoma Method: Language Abilities of Three Deaf - Blind Children», Journal of Speech and Hearing Research, September, pp. 47 - 332 .
- Chomsky, Noam (1951): Morphophonemics of Modern Hebrew, M. A. Thesis, University of Pennsylvania, published under the same title in 1979, Garland Press, New York.
- _____ (1955): The Logical Structure of Linguistic Theory, University of Pennsylvania. Most of the 1956 revision was published under the same title in 1975, Plenum Press, New York.
- _____ (1957): Syntactic Structures, Mouton, The Hague.
- _____ (1965): Aspects of the Theory of Syntax, MIT Press, Cambridge.
- _____ (1966): Cartesian Linguistics, Harper & Row, New York.
- _____ (1972a): Language and Mind, expanded edition, Harcourt Brace Jovanovich, New York. Originally published in 1968.
- _____ (1972b): «Remarks on Nominalization», in Studies in Semantics and Generative Grammar, Mouton, The Hague.

- _____ (1975): Reflections on Language, Pantheon Press, New York.
- _____ (1980): Rules and Representations, Basil Blackwell, London.
- _____ (1981): Lectures on Government and Binding, Foris, Dordrecht.
- _____ (1982): Some Concepts and Consequences of the Theory of Government and Binding, MIT Press, Cambridge.
- Chomsky, Noam (1986a): Knowledge of Language, Praeger, New York.
- _____ (1986b): Barriers, MIT Press, Cambridge, Mass.
- _____ (1987a): Generative Grammar: Its Basis, Development and Prospects, Kyoto University of Foreign Studies, Kyoto.
- _____ (1987b): Language in a Psychological Setting, Sophia University, Tokyo.
- _____ (1988): Language and Problems of Knowledge, The Managua Lectures, MIT Press, Cambridge.
- _____ (1991): «Linguistics and Adjacent Fields», in Asa Kasher, ed., The Chomskyan Turn, Basil Blackwell, Oxford.
- _____ (1993a): Language and Thought, Anshen Transdisciplinary Lecture, Moyer Bell, London.
- _____ (1993b): «Mental Construction and Social Reality», in E. Reuland and W. Abraham, eds, Knowledge and Language, Kluwer Academic Publishers, Dordrecht.
- _____ (1994): «Naturalism and Dualism in the Study of Language and Mind», Agnes Cuming Lecture (1993), International Journal of Philosophical Studies, Vol. 1.
- _____ (1995a): «Bare Phrase Structures», in H. Campos and P.Kempchinsky, eds, Evolution and Revolution in Linguistic Theory, Georgetown University Press, Washington.
- _____ (1995b): The Minimalist Program, MIT Press, Cambridge.
- _____ (1995c): «Language and Nature», Mind, January, PP. 1 - 61.
- _____ (1996): Powers and Prospects: Reflections on Human Nature and Social Order, Madhyam Books, Delhi.
- _____ (1997): «Language and Mind: Current Thoughts on Ancient Problems», Parts 1 and 2 (mimeograph).

- Chomsky, N., R. Huybregts and H. Reimsdijk (1982): The Generative Enterprise, Foris Publications, Dordrecht.
- Chomsky, N. and H. Lasnik (1977): «Filters and Control», Linguistic Inquiry, 8, pp. 425 - 504.
- Curtiss, Susan (1977): Genie: A Psycholinguistic Study of a Modern - Day «Wild - Child», Academic Press, New York.
- Fodor, Jerry (1975): The Language of Thought, Crowell, New York.
- Fodor, Jerry (1987): Psychosemantics, MIT Press, Cambridge.
- Gardner, Howard (1975): The Shattered Mind, Alfred Knopf, New York.
- Gazdar, Gerald, E. Klein, G. Pullum and I.Sag (1985): Generalised Phrase Structure Grammar, Basil Blackwell, Oxford.
- George, Alexander (1987): «Review of Knowledge of Language», Mind and Language, Vol. 2, No. 2, pp. 64 - 155.
- Gleitman, L. and E. Newport (1995): «The Invention of Language by Children: Environmental and Biological Influences on the Acquisition of Language», in Daniel Osherson, ed., An Invitation to Cognitive Science, Volume one (edited by Lila Gleitman and Mark Liberman), MIT Press, Cambridge.
- Holmberg, Anders (1986): Word Order and Syntactic Features in the Scandinavian Language and English, Doctoral Dissertation, University of Stockholm.
- Hurford, James R. (1987): Language and Numbers: The Emergence of a Cognitive System, Basil Blackwell, Oxford. Hubel, D. and T. Weisel (1962): «Receptive Fields, Binocular Vision and Functional Architecture in the Cat's Visual Cortex», Journal of Physiology, 160, pp. 54 - 106.
- Jackendoff, Ray (1990): Semantic Structures, MIT Press, Cambridge.
- _____ (1992): Language of the Mind, MIT Press, Cambridge. Jackendoff, R. and F. Lerdahl (1983): Generative Theory of Tonal Music, MIT Press, Cambridge.
- Katz, Jerold and Jerry Fodor, eds (1964): The Structure of Language, Prentice - Hall, Englewood Cliffs.
- Kayne, Richard (1994): The Antisymmetry of Syntax, MIT Press, Cambridge.

- Kitahara, Hisatsugu (1997): Elementary Operations and Optimal Derivations, MIT Press, Cambridge.
- Koopman, H. and D. Sportiche (1991): «The Position of Subjects», in J. McClosky, ed., The Syntax of Verb - initial Languages, Elsevier, North - Holland.
- Lasnik, Howard and M. Saito (1984): «On the Nature of Proper Government», Linguistic Enquiry, 15, pp. 98 - 235.
- Leiberman, Philip (1975): On the Origins of Language, Macmillan, New York.
- Mathews, G. H. (1964): Hidatsa Syntax, Mouton, The Hague.
- Otero, Carlos, ed. (1994): Noam Chomsky: Critical Assessments, Vol. 1, Routledge & Kegan Paul, London, p. 342.
- Penrose, Roger (1994): The Shadows of Mind: A Search for the Missing Science of Consciousness, Oxford University Press, Oxford.
- Piattelli - Palmarini, Massimo, ed. (1980): Language and Learning: The Debate between Jean Piaget and Noam Chomsky, Harvard University Press, Cambridge.
- Pinker, Steven (1995): The Language Instinct, Harper Collins, New York.
- Premack, David (1986): Gavagai: or the Future History of the Animal Language Controversy, MIT Press, Cambridge. Radford, Andrew (1988): Transformational Grammar, Cambridge University Press, London.
- _____ (1997): Introduction to Minimalist Syntax, Cambridge University Press, London.
- Rai, Milan (1995): Chomsky's Politics, Verso, New York.
- Stewart, Ian (1995): Nature's Numbers: Discovering Order and Pattern in the Universe, Weidenfeld and Nicolson, London.
- Turing, Alan (1950): «computing Machinery and Artificial Intelligence», Mind, July.
- Wexler, Ken (1991): «On the Argument from Poverty of the Stimulus», in Asa Kasher, ed., The Chomskyan Turn, Basil Blackwell, Oxford.
- Zubizarreta, Maria L. (1998): Prosody, Focus and Word Order, MIT Press, Cambridge.

مراجع مقدمة المترجم

المراجع العربية:

- بافو، ماري آن، جورج إليا سرفاتي. ت: محمد الراضي. النظريات اللسانية الكبرى: من النحو المقارن إلى الذرائعية. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2012م.
- تشومسكي، نعوم. ت: محمد الرحالي. اللسانيات التوليدية: من التفسير إلى ما وراء التفسير. بيروت: دار الكتاب الجديد، 2013م.
- زكريا، ميشال. الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1986م.
- كمال، رشيدة العلوي. النحو التوليدي: بعض الأسس النظرية والمنهجية. بيروت: منشورات ضفاف، 2014م.

المراجع الأجنبية:

- Al - Mutairi, Fahad Rashed. (2014). The Minimalist Program: The Nature and Plausibility of Chomsky's Biolinguistics. Cambridge: Cambridge University Press.
- Chomsky, Noam. Language use & design: conflicts & their significance | Prof Noam Chomsky (4/4/2013). Retrieved from https://www.youtube.com/watch?v=iR_NmkkMmO8.

ثبت المصطلحات

A – Chain	سلسلة موضوعة
A – position	موقع موضوع
Aboutness	عنيّة
Absolutive	(حالة) المطلق
Abstract case	إعراب تجريدي
Access	تتحصلْ على
Accusative	مفعوليّة
Acquisition	اكتساب
Adequacy	كفاءة
Adjacency	مُتاخمة
Adjunct	مُلحق
Agreement	تطابق
Ambiguity	التباس
Anaphor	عائد
Antecedent	سابق
Apparatus	جهاز
Architecture	بنيان
Argument	موضوع، حجة
Arithmetical capacity	قدرة حسابيّة

Artifact	موضوعة
Assignment	إسناد
Asymmetry	لا تناظر
Attach	ربط
Attraction	جذب
Automatic	آلي
Bar levels	مستويات إسقاط
Bare output conditions	شروط الخرج العارية
Bilingualism	ثنائية لغة
Binding theory	نظرية الربط
Biological	أحيائي
Case	حالة، إعراب
___checking	فحص إعرابي
___ Filter	مصفاة إعرابية
___ marked	موسم إعرابيًا
___ theory	نظرية إعراب
C - Command	تحكم مكوِّني
Chain	سلسلة
Clause	جُملة
___ Main	جُملة رئيسية
___ Infinitive	جُملة مصدرية
___ Subordinate	جُملة تابعة
Compound	مُركَّب
Computability	تحسيب

Computation	حَوسبة
intentional ـ Conceptual	تصورية قصدية
Condition	شرط، قيد
Configuration	تَشجير، تشكيل
Constituent	مُكوّن
Constraint	قيد
Construction	تركيب
Coordinate clause	جُملة معطوفة
Cognitive	معرفي، إدراكي
Data	معطيات
Deep structure (d ـ structure)	بِنية عميقة (بنية ـ ع)
Derivation	اشتقاق
Descriptive	وصفيّة
Discipline	فرع معرفي
Discrete infinity	اللانهائية المُتمايزة
Displacement	نقل
Economy conditions	شروط مقتصدة
Eliminate	حَذف
empirical	تجريبي
Erasing	مَحْو
Ergative	أرغاتي
Evaluation	تقييم
Extended projection principle (EPP)	مبدأ الإسقاط الموسّع (م.إ.م)
Fairytale	حكاية مُتخيّلة

Field	مجال (معرفي)
Form	شكل، صورة
Formal languages	لغات صوريّة
Framework	إطار عمل
Full	تام
Generalized phrase structure grammar	النحو المُركبي المُعَّمم
Generation	توليد
Generative Grammar	نحو توليدي
Gestures	إيماءات
Government	عَمَل
binding theory _ Government	نظرية الربط العاملي
rammar/grammars	نحو/ أنحاء
Grammatical	نحوي
Hard sciences	علوم صِّرفة
Hierarchical	سُلَّمي
____ relations	علاقات سُلميَّة
Higher primate	حيوان رئيسي أعلى
Illegible	غير قابلة للقراءة
Indices	قرائن
Infinitival	غير مُتصرِّف
Inflectional	تصريفي
Informal	غير تخصصي
Initial state	حالة أولى
Innate	فطرية

Inorganic	غير عضوي
Interaction/Interactions	تفاعل/ تفاعلات
Interpretation	تأويل
Item	وحدة
Larsonian Shell theories	نظريات القوقعة اللارسونيّة
Lexical	مُعجمي
Lexical Functional grammar	النحو المُعجمي الوظيفي
Linguistic	لساني، لغوي
Linguistics	لسانيات
Local	محليّ
Logical Form (LF)	صورة منطقية (ص.م)
Matching	موافقة
Matrix	رئيسي
Maximal projection	إسقاط أقصى
Merger	دمج
Movement	نقل
Multilingualism	تعدد لغات
Natural	طبيعية
Nominative	فاعلية
Noun Phrase (NP)	مُركب اسمي (م.س)
Operator	عامل
Optimal	مُثلى/ أمثل
Order of acquisition	رتبة اكتساب
Organic	عضوي

Organisms	عضويات، كائنات حيَّة
Output conditions	شروط الخرج
Perception	إدراك
Perfect	كامل
Peripheral	ثانوي
phonetic	صوتي
Phonetic Form (PF)	صورة صوتية (ص.ص)
Phrase	مُركب
Phrase structure	بِنية مُركبيَّة
Place	مكان
Position	موقع
Position of interpretation	موقع تأويلي
Predicate	محمول
Predicate raising	صعود محمول
Prepositional phrase	مُركب حرفي
Primate	حيوان رئيسي
PRO	ضم
Procedure /s	إجراء، إجراءات
Projection principle	مبدأ إسقاط
Pronominal	ضميري
Pronounce	لفظ
Proper Government	عَمَل مناسب
Quasi-Linguistic	شبه لسانية
Rational	عقلي

Recursive	تكراري
Relation /s	علاقة/ علاقات
Represented	تُمَثَّل
expression _ r	تعبيرح (إحالي)
Science	علم
Semantics	دِلالة
Semiotics	سيمائيات، سيميائية
Sentence	جملة
Species	النوع (البشري)
Speculation	تأمّل، تخمين
Speech	كلام
Spell-out	تهجية
Standard	معيار
Status	وضع
Stimulus	محفزات، مؤثرات
String	سلسلة
Structural relation	علاقة بنيوية
Structured	مُبنين
Sub-categoraization	تفريع مقولي
Subject	فاعل، مسند إليه
Overt	ظاهر
Successive cyclically	تتابع سلكي
Symbolic objects	كيانات رمزية
Syntactic constituent	مكونات تركيبية

Syntax	قواعد التركيب
System	نظام، نسق
Taxonomic	تصنيف
____ artifacts	تصنيفات موضوعة
Technology	تقنية، تخصصية
Temporal order	ترتيب زمني
Theta	محور
____ marked	موسوم محوريًا
____ theory	النظرية المحورية
____ structure	مُركب محوري
Trace theory	نظرية الأثر
Transformation	تحويل
Typologically	نمطيًا
Unambiguous	غير ملتبس
____ path	مسابر غير ملتبس
Ungrammatical	غير نحوي، لاحن
Uninterruptable	غير قابل للتأويل
Universal	كُلِّي
Verbal language	لغة شفهية
Version	صيغة
X-bar Theory	نظرية س ـ خط

الكتاب

سادت المقاربة السلوكيّة – البنيويّة في اللسانيات حتى ستينيات القرن الماضي، إذ كان لا يعدو اشتغال اللساني الترتيب والتصنيف وتحليل البيانات التي جمعها. هنا تحديدًا تبرز مساهمة تشومسكي والنحو التوليدي التي عادةً ما تُوصف بأنها «ثوريّة»، هذه المساهمة التي تحاول تجاوز معطيات التجربة إلى محاولات التفسير والتنظير على أسس تنظيريّة ومنهجيّة دقيقة نالت بها اهتمام اللسانيين والمهتمين باللغة لأزيد من ستة عقود.

يقدّم تشومسكي في هذا الكتاب عرضًا تاريخيًا من بدايات النحو التوليدي مُنتقيًا المفاهيم والأفكار الأساسية دون غيرها من التفاصيل التي قادت إلى آخر إسهاماته في اللسانيات، أو ما يعرف بالبرنامج الأدنوي. والكتاب مُقسّم إلى قسمين: تفريغ نصي لمحاضرة ألقاها تشومسكي في ديلهي، والقسم الثاني فقرة المناقشة التي جاوب فيها تشومسكي عن أسئلة تجاوز فيها نطاق ما طرحه في المحاضرة إلى مواضيع مثيرة تشغل بال الكثير منّا مثل: تعلّم لغة ثانية في سنة متأخرة، وعلاقة الموسيقى باللغة، والمفاهيم التي نولد بها قبل تعلّمنا للغتنا الأم.

يُعتبر هذا الكتاب، بمعنى من المعاني، مقدمة مناسبة للقارئ غير المتخصص في اللسانيات إلى أفكار تشومسكي اللسانيّة، وسيجد فيه المتخصص لمحات وإضاءات هامة للتاريخ الداخلي للنحو التوليدي وتطوره.

جداول Jadawel
www.jadawel.net

الموقع